الخطاب الديني وإشكالية المفهوم

أ.د.الشريف حبيلة
جامعة العربي التبسي تبسة –الجزائر

الملخص: يعد الخطاب الديني من القضايا التي بدأ الاشتغال عليها، لما له من ودور في تشكيل الوعي الفردي والجماعي، كما يعتبر الدين من أهم العناصر التي ساهمت في قيام الحركات الاجتماعية لارتباطه المباشر بمشاكل الواقع وتحدياته. وكونه شكل من أشكال الصراع الاجتماعي والأيديولوجي والحضاري، فصار موضوعا للباحث والسياسي، والإعلامي، وقد مثل الخطاب الإسلامي بؤرة ذلك الاهتمام في الخطاب الديني، لامتلاكه أهمية في التحولات العالمية، إلى جانب المد الديني الذي طال العالم الإسلامي والغربي على السواء، فظهرت دراسات وآراء متباينة، راح بعضها يفسر، وبعضها يبرر، بينما طرح البعض فكرة تجديد الخطاب الديني الإسلامي.

من هنا اعتمدت الدراسة الخطاب الديني موضوعا لها؛ واتجهت نحو البحث في مفاهيم الخطاب الديني، وتقديم صور متنوعة له، تمثلها أطياف مختلفة، فرضتها الفترة التي ينتمي إليها، حيث كانت فاعلا قويا إلى جانب فواعل أخرى في تشكيل ملامحه.

وتعمد الدراسة استجلاء الرؤية الكامنة في المفاهيم موضوع الدرس، بما تقدمه من أطروحات فكرية، وما تثيره من قضايا ملتسقة بالحياة اليومية للإنسان، ومن ثم الوصول إلى الرسائل وعلاقتها بالسياق الاجتماعي التي يطمح المفهوم إلى إرسالها، وبناء رؤية تجديدية للخطاب الإسلامي. ومن ثم كان التعامل مع الخطاب الديني وفق استراتيجية منفتحة على معارف حسب ما تستدعيه الضرورة، كاعتماد اللغة في تفكيك المفهوم، لما تحمل من إيديولوجيا، وارتباطها بالواقع الاجتماعي والثقافي الذي أطر هذا المفهوم

الكلمات المفاتيح: الخطاب – الدين – المصطلح – الفهم – الإسلام

***Summary**:*

The religious discourse of the issues that began to engage in it, because its role in the formation of individual and collective consciousness , and the religion of the most important elements that have contributed to the social movements of the direct association with the problems of reality and its challenges . And being a form of social conflict and the ideological and cultural heritage , it has importance in the global transformations , as well as the religious tide of the long- Islamic world and the West alike, appeared studies and differing opinions , some claimed explains , some justified , while some others have suggested the idea of renewing the Islamic discourse.

From here, the study of religious discourse adopted as their theme ; headed toward research in the concepts of religious discourse , and provide a variety of images to him , represented by different shades , imposed by the period to which it belongs , where she was an active strong addition to the actors in the formation of other features.

The study deliberately clarify the vision inherent in the concepts of the subject matter , including offer of theses intellectual , and then access to the messages and their relationship to the social context in which the concept aspires to be sent. And then had to deal with the religious discourse in accordance with the strategy open to knowledge as unnecessarily , such as the adoption of language in the dismantling of the concept, because its ideology , and its relation to reality, social and cultural frameworks of this concept .

المقدمة:

يعد الخطاب الديني من القضايا التي بدأ الاشتغال عليها، وكثر الحديث عنها خاصة منذ أحداث سبتمبر 2001 لما له من تأثير في أفراد المجتمع، ودوره في تشكيل الوعي والفكر الفردي والجماعي، متجاوزا ذلك إلى صناعة سياسات الدول سلبا وإيجابا، كما يعتبر الدين من أهم العناصر التي ساهمت في قيام الحركات الاجتماعية بسبب ارتباطه المباشر بمشاكل الواقع وتحدياته. إلى جانب كونه شكل من أشكال الصراع الاجتماعي والأيديولوجي والحضاري، فصار موضوعا يهتم به الباحث، والسياسي، والإعلامي، وقد مثل الخطاب الإسلامي بؤرة ذلك الاهتمام في الخطاب الديني، لامتلاكه أهمية في التحولات التي شهدها العالم، إلى جانب المد الديني المتمثل في التدين الذي طال العالم الإسلامي والغربي على السواء، وتعزز منذ أحداث سبتمبر، فظهرت دراسات وآراء متباينة وصلت حد التناقض، بل حد الصراع، راح بعضها يفسر، وبعضها يبرر، بينما اندفع البعض إلى طرح قضية تجديد الخطاب الديني الإسلامي.

وقد قسم (نصر حامد أبو زيد) هذه الاتجاهات إلى ثلاثة تمثلت في:

أولا اتجاه المؤسسة الدينية الرسمية للدولة الممثلة في المؤسسات الدينية، وفي بعض رجال الدين الذين يصنفون عادة في صفوف (المعارضة الدينية). ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الظاهرة إيجابية في مجملها، من حيث دلالتها ومغزاها، وإن كانت تحتاج إلى الترشيد والتوعية، أما الاتجاه الثاني فهو الذي تعامل مع الظاهرة بوصفها تعبيرا حضاريا عن واقع جديد، يرفض التبعية والهيمنة الأمريكية الأوروبية؛ وهو اتجاه يتبنى في الغالب مفهوما لـ(الخصوصية)، يقوم[1] كما يراه (أبو زيد) على الانعزال والتقوقع والاكتفاء الذاتي، ينتمي ممثلوه إلى تيار اليسار السياسي والفكري بالمعنى العام، الذي

يستوعب الماركسية والاشتراكية والقومي[2]. أما الاتجاه الثالث هم الرافضون لمشروعية شعار (الإسلام هو الحل)، ينافس اتجاه المؤسسة الدينية الرسمية، ويذهب (أبو زيد) إلى أنه ليس وليد حركة المد الديني أو استجابة سلبية لها، بل هو أصيل في الفكر العربي الحديث، و يمثله (العلمانيون)[3].

وهو تقسيم قائم على وجهة نظر لها ما يبررها عند صاحبها، وإن كانت الاتجاهات الثلاثة يمكن الاتفاق حولها بما أنها تنطبق على الواقع إلى حد ما، فإن التفسيرات التي رافقت كل منها يختلف فيها الكثيرون، لأنها جاءت إيديولوجية أكثر منها علمية منطقية، يؤسسها الاختلاف مع التيارات الدينية والصراع معها، لذا فهي تفسيرات تعبر عن وجهة نظر صاحبها وعن أيديولوجيا مناقضة تماما للخطاب الديني.

من هنا اعتمدت الدراسة مجمل الخطاب الديني موضوعا لها؛ لذا اتجهت نحو النظر بالبحث في المفاهيم والتصورات التي خاضت في الخطاب الديني، سواء كان خطابا فكريا ثقافيا، أو خطابا دعويا، أو سلوكا مترجما لما يعتقده أصحابه، وفي الوقت نفسه تطرح الدراسة صورا متنوعة لهذا الخطاب، تمثلها أطياف مختلفة، فرضتها الفترة التي ينتمي إليها الخطاب الديني نفسه، حيث كان فاعلا قويا إلى جانب فواعل أخرى في تشكيل ملامحه، وسببا رئيسا لما شهدته بعض الأقطار العربية والإسلامية من أحداث.

وتعمد الدراسة إلى تحليل الخطاب بهدف استجلاء الرؤية الكامنة في المفاهيم موضوع الدرس، فالهدف تفكيك النص، وحل شفراته للإمساك بما يقدمه من أطروحات فكرية، وما يثيره من قضايا ملتسقة بالحياة اليومية للإنسان، ومن ثم الوصول إلى الرسائل وعلاقتها بالسياق الاجتماعي التي يطمح المفهوم إلى إرسالها.

ويكون التعامل مع لغة الخطاب باعتبارها ممارسة فكرية واجتماعية، تتفاعل مع الواقع الذي تتداول فيه، تجعل النص ضربا من التواصل بين مرسل ومتلق، يحمل هدفا ويحقق أثرا، ينطلق من مرجعيات، ويؤسس بناءه على مصادر متنوعة ومختلفة، لذا يكون النظر إليه في علاقاته المتشابكة، وما تنتجه من دلالات داخل السياق الذي يتفاعل معه[4].

وتحليل الخطاب بهذه الطريقة يمكن القارئ من فهم السياق الذي أنتجت فيه هذه المفاهيم، وإدراك ما تقدمه من قضايا ورؤى. ومن ثم فإن التعامل مع الخطاب الديني سيكون وفق استراتيجية منفتحة على معارف ومناهج حسب ما تستدعيه الضرورة، والموقف، كاعتماد اللغة في تفكيك المفهوم، لما تحمل من إيديولوجيا، وارتباطها بالواقع الاجتماعي والثقافي الذي أطر هذا المفهوم.

أولا– مفهوم الخطاب:

تحضر كلمة(خطاب)في لسان العرب لـ(ابن منظور) الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان. وفصل الخطاب: أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وقصده. وقال الأصفهاني "الخطب، والمخاطبة، والتخاطب: المراجعة في الكلام وفصل الخطاب: ما ينفصل به الأمر من الخطاب"[5].

كما وردت في القرآن الكريم في مواقع كثيرة عرضت للخطاب من جوانب مختلفة منها. قوله تعالى **(وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)** "الفرقان الآية 63" وفي قوله **(وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب)** "ص الآية 20". وقوله تعالى **(رب السموات والأرض وما بينهما الرحمان لا يملكون منه خطابا)** "النبأ الآية 37. والملاحظة في سياق ورود لفظ (الخطاب) في القرآن أن الخطاب جاء مقرونا بالحكمة، والعزة، وشدة البأس[6].

وتتحرك المعاني المعجمية لكلمة خطاب من الفكر إلى الكلام في أشكالها المتنوعة، ومن هناك إلى المناقشة المثبتة أو النص، أحيانا مع توجه تلقيني (كما في الموعظة)، أو قطعة استدلالية مبسوطة. ويحتفظ النعت المقابل للخطاب استطرادي(discursive) بشيء من هذا التوتر بين معاني الحديث والمحاججة المنظمة: فهذه الكلمة إما أن تعني "هائم متنقل من موضوع إلى موضوع" أو "متسلسل نابع من استدلال أو حجة؛ أي استدلالي" (وبالمعنى الأخير غالبا ما تقابل الكلمة بـ"الحدسي"). وفي استعماله المعاصر نحتاج إلى أن نميز بين الخطاب، بمعنى النص الموحد من حيث الموضوعة أو الموقف كتكوين متماسك للمعرفة أو الحقيقة، و"الخطاب" بمعنى شيء مثل كون اللغة منظمة كشبكة من علاقات المعرفة، الاجتماعية لذا رأى صاحبي قاموس "Dictionnaire Fondamental du Français Littéraire" أن الكلمة – خطاب– من الصعب تحديدها بتعريف<< Le mot est particulièrement difficile à à définir , tant il est employé pour désigner des réalités différentes. L'influence de la linguistique sur les sciences humaines a fait qu'on atout analysé en termes de discours, qu'on a tout ramené au langage>>[7] ، فكلمة خطاب صعبة التحديد، بسبب استخدامها الذي يحيل على حقائق مختلفة. ثم إن تأثير اللغة على العلوم الاجتماعية يتجلى في تحليل هذه العلوم بصفتها خطاب، وذلك بإرجاعها إلى اللغة.

ومن هنا فمصطلح خطاب من حيث معناه العام المتداول في تحليل الخطابات، يحيل على نوع من التناول للغة، أكثر مما يحيل على حقل بحثي

(7) -Philippe Forest et Gérard Conio : Dictionnaire Fondamental du Français Littéraire, Maxi-liveres 2004 p122

محدد، فاللغة في الخطاب لا تعد بنية اعتباطية بل نشاطا لأفراد مندرجين في سياقات معينة... وبما أنه يفترض تمفصل اللغة مع معايير غير لغوية، فإن الخطاب لا يمكن أن يكون موضوع تناول لساني صرف[8].

تكمن قوة المفهوم في النصف الثاني من القرن العشرين في توفيره بديلا عن كل من ثنائية (فرديناند دو سوسور) في اللغة والكلام (Langue–parole)، وتمييز (تشومسكي) بين الكفاءة (أي المعرفة الفطرية بنظام اللغة) والأداء <<يمكن أن ننظر إلى الحالة الأولى للملكة اللغوية على أنها شبكة قارة موصولة بمفاتيح؛ وتتكون هذه الشبكة من مبادئ اللغة، أما المفاتيح فتمثل الخيارات المعينة التي تحددها التجربة. ونحصل حين يوضع المفاتيح في وضع معين على اللغة السواحلية؛ ونحصل على اليابانية حين توضع بشكل آخر>>[9]، والاختراق المفهومي لدى (دو سوسور) في وضعه الطبيعة النسقية للغة جعل في الوقت نفسه من الصعب فهم الكلام الفعلي أو النص (الكلام parole) بوصفه شيئا آخر سوى النتيجة العارضة للشفرات اللغوية، وتنوعاته مجرد اختيار فردي. وعلى غرار ذلك، يكمن الاهتمام العلمي، في النحو التحويلي عند (تشومسكي)، في بنية القواعد على مستوى التوليد وليس على البنية السطحية للأداء.

وإحدى خواص الخطاب كونه وقعت العناية به من وجهة نظر لسانية مخصوصة؛ إذ اعتبر مثلا كإطار لما أصبح يسمى بنحو النص، في حين أن بنيات أخرى مخصوصة للخطاب ومعالجته صار يبحث الآن في علم النفس المعرفي، والانتروبولوجي، وعلم الاجتماع والخطاب أو القول الشعري[10].

من الواضح أنه ليست جميع الخواص المطردة للخطاب تنتسب إلى مجال النظرية اللسانية والنحوية. وذلك أن القواعد المتواضع عليها وشروط الدلالة والمرجع والتأويل، وكذلك استعمال معرفة العالم، والفعل التداولي

ووظائفه، أقول إن كل تلك الأمور قد يصح أن تدمج جوازا في اهتمام تحليل الخطاب اللساني وانشغاله[11].

وبهذا الاعتبار فإن النظرية اللسانية للخطاب لا يقصد بها فحسب إغناء اللسانيات، بل يقصد بها قاعدة أساسية لدراسة الخطاب في فروع معرفية أخرى، مما يعجل إلى أقصى مدى إدماج الخطاب، على تلك الصفة في الدراسة العامة للغة والتواصل [12].

وانبثق مفهوم الخطاب من داخل علم اللغة البنيوي، ربما متأثرا إلى حد كبير بتمييز (إميل بنفنيست) بين نمطين من الرواية، حيث يشير إلى السرد (histoire) إلى الأحداث المكتملة التي حررت في الزمن عن المتكلم[13]. ويشير الخطاب (discourse) إلى أحداث ترتبط من الناحية الزمنية بفعل الكلام. هكذا يبرز مفهوم الخطاب لدى(بنفنست) الموقع والعلاقات الاجتماعية للنطق (أي موقعي المتكلم والمستمع، والسياق الباني الذي يحدث فيه الكلام بينهما). بمعنى مختلف قليلا، تشير الكلمة في مستوى الجملة، وبتوسيعها إلى الأبعاد البلاغية للغة: أي إلى القيود السياقية علة إنتاج النص. والتحدي الذي يثيره مفهوم الخطاب، هو فهم تنظيم الكلام أو الكتابة كأمر نسقي ليس فقط على مستوى النحو أو تشكيل الكلمة، بل على المستويين الدلالي والتداولي (ما يقال وكيف يرتبط بسياق نقطة). هكذا تفهم اللغة على أنها تبنيها قواعد أو شفرات وأعراف تشبه القواعد على أي مستوى من مستويي المنظومة اللغوية والخطاب.

وتجري إحدى الطرق في التفكير بالكيفية التي تشكل بها الأبعاد السياقية، والموضوعية، والصورية للكلام والنص مركبات متماسكة عن طريق مفهوم مستعار من النظرية الأدبية، ألا وهو مفهوم النوع. هنا أنجز العمل المهم في نقد مبكر لعلم اللغة السوسوري، بوشر به في أواخر العشرينيات في كتابات

(ميخائيل باختين) متظاهرا أو بالتعاون مع (ف.ن.فولوشينوف) (فالهوية الدقيقة لمؤلف هذا الكتاب غير واضحة تماما). يكتب (باختين/ فولوشينوف) عما يسميه بأنواع الخطاب، التي يعني بها المركبات المبنية معياريا من ملامح شكلية، وسياقية، وموضوعاتية، أي (طرق التكلم) في موقف جديد محدد[14]، يتركب كل نوع كممارسة اجتماعية من خلال أهمية (اللياقة اللغوية، والذوق الكلامي، وأشكال أخرى من تنظيم المنطوق مع التنظيم الترابي للمجتمع). هكذا يرتبط إنتاج المعنى ارتباطا مباشرا بالقيود السيميائية على الموقف الكلامي. وهكذا فإن نوعا من الصلاة، التي هي مكون من المكونات المركزية للخطاب الديني في كثير من الثقافات، يخلق مركبا موحدا من المواقع الكلامية الممكنة والمناسبة، وموضوعات ممكنة ومناسبة، وأشكالا لغوية وأسلوبية ممكنة ومناسبة. ويشفر هذا المركب بدوره علاقات القوة الاستطرادية لجماعة كلامية معينة. وتجمع النظرية في باعث واحد الميادين المنظمة للمادة الدلالية، المصفوفة في الأعماق وفي علاقة معقدة مع الميادين الأخرى، ومواقع مناسبة للنطق والسلطة والمصداقية؛ ونماذج مناسبة من التفاعل الاستراتيجي، واختيارات بلاغية ولغوية مناسبة.

تطورت النبذة الأخرى لمفهوم الخطاب، التي اكتسبت أهمية خاصة في استعماله الجاري في عمل (ميشال فوكو) وصيغت في كتابه حفريات المعرفة. الخطاب في استعماله الفوكوي(أو بعبارة أدق: التشكيل الخطابي أو الاستطرادي) هو نمط من أنماط تنظيم المعرفة في علاقة بممارسات السلطة وصورها، التي غالبا ما تتجذر في تنظيمات تسيطر وتتبني على معارف منهجية متميزة<<يبدو ان الخطاب في ظاهره شيء بسيط، لكن أشكال المنع التي تلحقه تكشف باكرا وبسرعة عن ارتباطه بالرغبة وبالسلطة. وما المستغرب في ذلك مادام الخطاب –وقد أوضح لنا التحليل النفسي ذلك– ليس فقط هو ما

يظهر أو يخفي الرغبة، لكنه أيضا هو موضوع الرغبة. ومادام الخطاب – والتاريخ ما فتئ يعلمنا ذلك– ليس فقط هو ما يترجم الصراعات أو أنظمة السيطرة، لكنه هو ما نصارع من أجله، وما نصارع به، وهو السلطة التي نحاول الاستلاء عليها>>[15].

وتشيد خطابات الطب أو إصلاح السجون، مثلا، إمكان أن تطغى بعض الحقائق وإمكان أن تكون غيرها بلا فاعلية أو إقرار من المجتمع. وبفعلها هذا تعتمد الخطابات وتقوي بعض بنى السلطة الاستطرادية (صوت الطبيب أو العالم، أو نظام حقيقة المهندس الاجتماعي البشري)، وتزيح بنى أخرى (أصوات المرضى أو المجرمين، ولكن أيضا أصوات المعالج بالطبيعة أو الشافي بالإيمان، أو الشفرات "الأثرية" للانتقام والجزاء). وفي الحركة نفسها تنجز بعض الآثار المادية[16]، فالمستشفيات والسجون تبنى لتجسد نظرة المعالجة الطبية أو إصلاح النفوس؛ ويتم إضفاء الشرعية على بعض نظم المعالجة أو الاعتقال، فتطغى على غيرها <<هنا في حقول التفريق الأول هذه، وفي الفوارق والانفصالات والعتبات التي تظهر فيها، عثر الخطاب الطبعقلي على إمكانية تحديد ميدانه وتعريف موضوعه، ومنحه صفة موضوع؛ أي أنه استطاع أن يظهره كموضوع ويجعله قابلا للتسمية والوصف>>[17].

وهذا يعني أن تشكيلات (فوكو) الخطابية متباينة، ولا تتكون أيضا من ممارسات مادية وبنى تحدد كيف تتكرر عبر ميادين اجتماعية مختلفة ونتائجها والمواقف الكلامية التي تتيحها والموضوعات والحقائق التي تبعثها وتضفي عليها بعض الواقعية << وذلك من خلال إبراز كيف تنتشر المعرفة العلمية وتكون مناسبة لولادة مفاهيم فلسفية وتفصح عن نفسها أحيانا، وعند الاقتضاء، في الآثار الأدبية؛ كيف تهاجر المشاكل والمفاهيم والأفكار المحورية من الحقل الفلسفي الذي تشكلت فيه إلى خطابات علمية أو سياسية؛ يربط الآثار

بالمؤسسات والعادات وأنواع السلوك الاجتماعية والتقنيات والحاجات والممارسات الصامتة؛ يعمل على بعث ماضي أشكال الخطاب، الأكثر تطورا وإحيائها ثانية في صورتها الأصلية المحسوسة وداخل ذات النمو والتطور اللذين شهدا ميلادها>>[18]، وهو ما تفعله بعض الفئات الاجتماعية في فهمها للخطاب الديني حين استرجاعها لبعض الظواهر والمفاهيم الدينية، فتعيد إحياء خطابات الحقب الماضية في صورتها الأصلية التي ولدت عليها، وفي الظروف نفسها، لكن في زمن غير زمنها.

ومركزية مفهوم الخطاب بالنسبة إلى جزء كبير من النظرية المعاصرة، جعلت منه هدفا للنقاد غير الراضين على التحدي الذي يثيره بوجه الطرق التقليدية لفهم التمثيل؛ كما إنه يستخدم استخداما واسعا غالبا ما يتخلله الارتجال حتى فقد الكثير من معناه الدقيق[19]. وإذا سلمنا بأن النص لا يختلف عن الخطاب فإن المفهوم المحدد لكليهما لدى علماء تحليل الخطاب أو لسانيات النص <<هو مجموع الإشارات النصية التي ترد في تفاعل اتصالي >>[20]، أو هو <<إنتاج ليشمل كل وسائل الاتصال، كون النص يرد دوما في سياق اجتماعي محدد يشترط مشاركة المشاركين في الاتصال لتحقيق أهداف اجتماعية أو شخصية، إن النص يمتلك وجودا اجتماعيا ما ينعكس في المضمون وفي الاستراتيجية المتبعة من طرف المشاركين في الاتصال، وهم ينظمون النص ويصيغونه[21].

ويدرس تحليل الخطاب أبنية النصوص، مهتما بأبعادها اللغوية، والاجتماعية، والثقافية من أجل فهم تشكيل المعنى. لذا يتقاطع مع اتجاهات منهجية أخرى تهتم كذلك بإنتاج المعنى، فنظرية الاتصال وثيقة الصلة بحقول أخرى، ترى المعنى محصلة عملية الاتصال التي عناصرها مرسل ورسالة وشفرة، ومتلقي، وقناة اتصال، وسياق. وتتضمن الرسالة معنى ما، وكلما تم

التركيز على أحد هذه العناصر أنتج لنا وظيفة معينة قد تكون: تعبيرية، أو توجيهية، أو إخبارية، أو اتصالية، أو مرجعية، أو شعرية .

ورأى النقد البلاغي الذي اتخذ الاتصال إطارا له في كل خطاب حضورا وتفاعلا بلاغيا تحكمه قوى سياسية و اجتماعية، تحمل النص برموز ذات مقاصد، قادرة على التأثير على الوسط المحيط، ومن ثم عد النص وإنتاجه، ووسائل إقناعه مهمة الخطاب الذي اتجهت البلاغة لدراسته. وإذا كان الاستعمال اللغوي يستند إلى التفاعل الاجتماعي والظروف الثقافية، فإنه يغدو فعلا معرفيا. وبذلك يكون الخطاب وسيلة خلق حقائق مؤسساتية، وإعلان وظائف تفرضها المؤسسة على الظواهر الطبيعية لخدمة مقاصدها وترسيخ أنظمتها من العلاقات وبني القوة و تكريسها؛ يعني هذا أن تحليل الخطاب يمنح عناية ما وراء اللغة من تفاعل وسياق محيط [22].

هكذا صار تفسير النص بإرجاعه إلى عناصره الأولى المكونة، والكشف عن نظام العلاقات الذي تنتظم بنيته، والأعراف الثقافية التي تدخلت في بناء معناه. فكانت النقلة من القيم الجمالية إلى البنى الاجتماعية، وتناول المعنى بوصفه تأسيسا اجتماعيا يرتبط بشبكة من التداعيات وأهداف منتجيه ومتلقيه.

لذا كان لابد من الكشف عن ها الخطاب الذي قد يؤدي تحليل مضمونه، و فهم عناصره إلى معرفة كيفية إنتاج وحداته ووظيفتها داخل السرد الثقافي والسياق الاجتماعي. كما يرشدنا ذلك إلى تمييز المفاهيم والتصورات داخل المضمون، وفهم دلالات الرسالة، ونقصد الموضوعات والقيم والأيديولوجيا والتوجهات والمعتقدات، وطرائق التعبير لدى الأشخاص.

لتحليل الخطاب تحديدات متنوعة، ويوجد تحديد واسع جدا (هو تحليل استعمال اللغة)، كما هناك تعريف آخر (دراسة الاستعمال الفعلي للغة من قبل ناطقين حقيقيين في أوضاع حقيقية[23].

ومن المستحسن اعتبار تحليل الخطاب الذي بدأ يقدم على التحليل اللغوي للنص في ذاته أو على التحليل السوسيولوجي أو النفساني لمحتواه، بسعي إلى مفصلة articuler تلفظفه مع موقع اجتماعي بعينه، وهكذا، يجد تحليل الخطاب نفسه حيال أنواع الخطابات المشتغلة في قطاعات الفضاء الاجتماعي (المقهى، المدرسة، المحل التجاري...) أو في الحقول الخطابية (السياسي، العلمي...). إذن بإمكان تحليل الخطاب أن يعنى بنفس المدونات على غرار علم الاجتماع وتحليل الحديث إلخ، ولما كان تحليل الخطاب يقف في مفترق طرق العلوم الإنسانية، فهو عرضة لعدم استقرار جم، ذلك أنه يوجد محللون للخطاب هم بالأحرى علماء اجتماع، وآخرون هم بالأحرى لسانيون، والبعض الآخر علماء نفس[24].

لا يقتصر تحليل الخطاب على التحليل اللساني للنصوص، بل يتأرجح بين التركيز على نصوص معينة والتركيز على ما يسمى نطاق الخطاب (Ordre de Discours)، أي البناء الثابت نسبيا للغة الذي يشكل مكونا في بناء الممارسات الاجتماعية والشبكة التي تؤلفها، الثابتين نسبيا أيضا. ويهتم التحليل النقدي للخطاب بالاستمرارية والتغيير على هذا المستوى الأكثر تجريدا وبنائية من مستوى النصوص، كما يهتم أيضا بما يحصل في النصوص بعينها. وتربط طريقة تحليل النصوص في التحليل النقدي للخطاب بين الاهتمام بالنصوص وبنطاق الخطاب. فلا يعتبر تحليل الخطاب تحليلا لسانيا فقط، إنما يتضمن أيضا ما يسمى تحليل التفاعل الخطابي (Interdiscursiv Analysis)، أي معالجة النصوص من منطلق ضروب الخطاب والأصناف والأساليب المختلفة التي تستند إليها وتمفصلها بعضها مع بعض[25].

توجد حاجة لتطوير معالجة تحليل النصوص من خلال حوار عابر للاختصاصات (Dialogue Transdisciplinaire) يحمل عدة منظورات

حول اللغة والخطاب ضمن النظرية والبحث الاجتماعيين، وذلك بهدف تنمية قدرتنا على تحليل النصوص كعناصر في سيرورات اجتماعية. وللوصول إلى معالجة أو منهج تحليلي (جامع للاختصاصات)، لا بد من العمل على فئات النظريات الاجتماعية ومنطقها، وفئات ومنطق مكونات أخرى، لأجل تطوير نظرية تتناول الخطاب ومناهج لتحليل النصوص[26]

ثانيا– مفهوم الخطاب الديني

يعد الخطاب الديني من التعبيرات الحديثة في مجال العلوم الاجتماعية عامة واللغويات الاجتماعية خاصة وأن مجالات البحث في هذا الموضوع لازالت في بدايتها، وقد اقترن استخدام مفهوم تحليل الخطاب بمعارك أيديولوجية ذات أبعاد متنوعة ألقت بظلالها على المصطلح وابتعدت به عن المفهوم العلمي الدقيق، <<ويشير مفهوم الخطاب الديني إلى ذلك البناء من الأفكار والمعتقدات التي تتسم بأهميتها الاجتماعية التي تتبع من ارتباطها بدين ما، ومن ثم تأثيرها في تكوين تصور متلقي الخطاب من المؤمنين بهذا الدين عن العالم الذي يعيشون فيه وتحديد كيفية تصرفهم إزاء هذا العالم. وينطوي مصطلح الخطاب الديني على تنوعات عديدة منها خطاب ديني مغلق وهو الخاص بتفسيرات النصوص والشعائر، وخطاب ديني مفتوح وله عدة مستويات، فقد يكون في إطاره إبداء القيادة الدينية الرأي في أسئلة تتعلق بقضايا شخصية توجه إليه>> [27].

وهذا ما يمكن تسميتها بالخطاب الديني الخاص، وقد يكون بخصوص قضايا عامة مثل رأي الدين في الاقتصاد، والسياسة، أو الهندسة الوراثية إلى آخره، وهذا يمكن تسميته بالخطاب الديني المفتوح العام، أما التصنيف الثالث للخطاب الديني المفتوح فهو الخاص بالقضايا الملحة في واقع التفاعلات فالخطاب الديني بكل مستوياته المغلق والمفتوح، العام والخاص والمعتدل،

معارض، متطرف تعليمي، تربوي وإعلامي يشترك في آلياته ومنطلقاته الفكرية[28].

انطلاقا من تلك المستويات المختلفة للخطاب الديني جاءت الدعوات الساعية إلى تجديد الخطاب الديني، نتيجة المتغيرات العديدة وضروراته لكي يساهم في دفع مسيرة المجتمع نحو النمو واكتساب القدرة على مواجهة تلك المتغيرات والتعامل معها بالكفاءة المطلوبة، وإذا كان هذا الخطاب هو: اجتهاداتنا البشرية، أي: اجتهادات رجال العلم المتفقهين في الدين مسلمين ومسيحيين فإنه من الواضح أن الاجتهادات البشرية لا يمكن أن تغلق أبدا ولا أن تمس الثوابت الأساسية للعقائد الدينية نفسها، والتي تجسدها وتعبر عنها أركان الإيمان ثم أركان الدين المعين بالذات. فتلك الثوابت هي من الكليات أو القضايا الكلية التي لا يتصور أي عقل مؤمن أنها يمكن أن تكون عرضة أو موضوعا لأي نوع من أنواع الاجتهاد البشري. فالاجتهادات تقتصر على الواقع، واقع الطبيعة، وواقع الإنسان أي الواقع الاجتماعي، فهو خاضع لأغراض الزمان أي: لأغراض التاريخ وتغيراته وضروراته، ولذلك يتغير الخطاب الديني من عصر إلى عصر ومن بيئة إلى بيئة[29].

ويستخدم (أحمد زايد) مفهوم الخطاب الديني ليشير إلى الأقوال والنصوص المكتوبة الصادرة عن المؤسسات الدينية، وعن رجال الدين، أو عن موقف أيديولوجي ذي صبغة دينية أو عقائدية، يعبر عن وجهة نظر محددة تجاه قضايا دينية أو دنيوية أو الدفاع عن عقيدة معينة، ويعمل على نشر هذه العقيدة[30].

والمقصود بمفهوم الخطاب الديني Islamic Discourse أنه عبارة عن منظومة فكرية تحوي مفاهيم ومقولات النظرية الإسلامية، التي تعين الفرد في حيز أحد جوانب الواقع الاجتماعي، التي تسعى إلى تقديم مجموعة من

التصورات الإسلامية والدلالات النظرية حول إحدى قضايا الواقع الاجتماعي أو إشكالاته المتباينة، التي تم إنتاجها في السياق التاريخي الذي صاحب الفكر الإسلامي منذ السبعينيات من هذا القرن. إن استخدام مصطلح الخطاب من خلال السوسيولوجيا، يعني أننا سوف لا نهمل العملية التاريخية العامة التي يعد الخطاب جانبها الإبستمولوجي والنظري، لذا سوف نتناول هذا الخطاب في ضوء العلاقة الجدلية بين الجانب النظري والمعرفي وبين الممارسة الاجتماعية والسياسية، تلك التي سوف تساعد في الوقوف على التحليل الموضوعي التاريخي للبنى الاجتماعية والأيديولوجية[31].

وهنا ينبغي التمييز بين أمرين: الأول يتعلق بالخطاب الديني التقليدي أو المؤسسي، والثاني يرتبط بالخطاب الديني غير المؤسساتي أو الجهادي، ويمكن التفرقة بين عدة خطابات داخل كل من هذين الخطابين. وعلى الرغم من أن مفهوم الخطاب يشير إلى مصطلح شامل، حيث يحتوي على مجموعة من العناصر التي تعين على فهم مجموعة الأشكال والتصورات والإدراكات النظرية، فإن الخطاب الإسلامي يفتقر لكونه نظرية متكاملة، لذا سوف نجد أن تحليل وفهم ذاك الخطاب يوضح أنه نوع من الأيديولوجية الخاصة. واستخدام الخطاب كأداة لتحليل الخطاب الديني يجعل من الضروري الوقوف على مضمون ومنطلقات وآليات وتصورات هذه الجماعة وأشكال وطرق إدراكها للمجتمع[32].

ومن الأهمية بمكان أن نفرق بين الدين الرسمي وغير الرسمي، فالأول يسعى إلى تأييد النظام الاجتماعي القائم، بينما الآخر يسعى إلى هذا النظام واستبداله بآخر يستند إلى التراث والسلف. إن هذا النوع يعد حركة ذات حنين للماضي يسعى إلى الهروب من المجتمع، أو الانسحاب من عذابات الحاضر

إلى أمجاد الماضي، الأمر الذي يجعلنا نصفها بأنها ذات رؤية ماضوية تسعى إلى إعادة تنظيم المجتمع من خلال حركتها الجهادية (الثورية)[33].

هذا النوع من الأيديولوجيا يعد محاولة للربط بين قضيتي التاريخ والحاضر، إن الخطاب الإسلامي وفق هذا المعنى ما هو إلا مجموعة من الطقوس والقيم الإسلامية التي تسعى إلى البحث عن نموذج –غير موجود في الواقع– مؤسس على شرع الله، أي أن هذا الخطاب ما هو إلا محاولة لتشكيل وعي أو إدراك الواقع وفق رؤية عقائدية متشددة. وغض النظر عن طبيعة وشكل الخطاب الإسلامي، فإن ما نريد أن نشدد عليه هنا أن هذا الخطاب بسحنته التي قدمنا، يعد نتاجا لشروط مادية وفكرية ومجتمعية. فهو جاء من خلال مواقف تاريخية، اجتماعية تأثرت به وأثرت فيه. بمعنى آخر أن هذا الخطاب لم يستطع أن يخرج إلى الوجود لولا ما شهده الواقع الاجتماعي في مصر من تناقضات، خاصة في البنية التحتية وما تحويه من علاقات صراعية بين الطبقات الاجتماعية[34].

إن الخطاب الإسلامي خطاب ديني منبثق من الديانة الإسلامية ومستند لها، إلا أنه لا يمثل خطاب الإسلام ممثلا بنصوص الوحي من القرآن أو السنة، وإنما هو خطاب (الإسلاميين) في التعبير عن الرسالة التي يوجهونها إلى الآخرين في شأن من الشؤون، فالإسلاميون هم أفراد أو جماعات يتميزون عن غيرهم بقراءة خاصة للدين الإسلامي، وبما يختلف عن قراءة غيرهم من سائر المسلمين[35]، فالخطاب الإسلامي في أصوله وأسسه لا يتغير لأنه مبني على عقائد وعلى عبادات وعلى قيم وعلى تشريعات لا تتغير لكن الذي يتغير هو الأسلوب.

ويرى(أحمد كمال أبو المجد) أن الخطاب الإسلامي لا يتعلق بالنص الديني، قرآنا كان ذلك النص أوسنة، فكتاب الله كلام الله سبحانه، وهو حق

وحكمة ونور، وهو محفوظ بحفظ الله تعالى له، وأما سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي الأخرى وحي يوحى، المعنى فيها من عند الله سبحانه وتعالى، واللفظ من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي أوتي جوامع الكلم . كما يمكن القول إن الخطاب الإسلامي هو(مضمون الدعوات التي تحمل عنوان الإسلام عن جدارة واستحقاق، وأسلوب طرح تلك المضامين بين الشدة واللين) فالمضامين الإسلامية نفسها نوعين: الأول: في حكم الثوابت وهي المعيار لوصف دعوة أو موقف أو تصرف ما بالإسلام، والثاني: اجتهادي فإن التزم بعضه بالثوابت يسري عليه الوصف نفسه، وإن تعددت مساراته وتبدلت بتعدد العلل والظروف، فالمعيار في هذه، وذلك ما عرف من الدين بالضرورة ثم ما اتفق عليه جمهور العلماء، فإن شد عنهم اجتهاد ما فهم المرجع في اعتباره إسلاميا، وإن لم يأخذوا به أو في الحكم عليه في غير ذلك، وفي هذا السياق ينظر للخطاب الديني على أنه: (أسلوب التعبير عن تلك المضامين). ولكن للأسلوب أحكامه الإسلامية، فالالتزام بالتبشير لا التفسير، وبالتيسير لا بالتعسير، والرفق واللين لا العنف والتعصب، فجميع ذلك ثابت الأصل، متجسد مباشرة من النصوص المحكمة والقواعد التشريعية الأصولية[36].

كما يرى بعض الباحثين بأن الخطاب الديني الإسلامي يؤشر إلى مجمل الرموز والإشارات التي تصدر عن مرجعية معينة، تشكل صورتها ومظهرها العام، وتبرز خطوطها الفكرية، عبر عملية تواصل بين هذه المرجعية الفكرية والجمهور، في عملية تفاعلية يكون فيها الخطاب (وسيلة لا غاية). وهنا يلاحظ خط المأزق الذي وقع فيه أصحاب الأيديولوجيات عندما حولوا الخطاب لغاية بحد ذاتها، دون النظر إلى ما وراء الخطاب، كما يمكن النظر للخطاب على أنه: مرادف لتصور أو موقف الشخص أو الجماعة بشأن قضية مطروحة، وعليه فإن الخطاب يعبر عن أيديولوجية الأفراد والجماعات على

اعتبار أن الأيديولوجية هي مجموعة منتظمة ومترابطة، من الأفكار والحكام والمعتقدات الخاصة بجماعة ما في نظرتها للواقع والجماعات الأخرى.

وبناء على ما سبق يمكن تعريف الخطاب الديني الإسلامي، بأنه مفهوم مركب من لفظتين: الخطاب والإسلامي؛ لفظة (الخطاب) يعني المحاورة والمحادثة بين طرفين أو أكثر، ونسبته للدين يقصد فيها الخطاب الذي يعتمد على مرجعية دينية في مخاطبته وأحكامه وبياناته. قال ابن تيمية المقصود بالخطاب الإفهام، إفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع، فإنه لا يسمى خطابا. أما سمة الإسلامي فالمقصود بها الخطاب الذي يعتمد مرجعية إسلامية في المخاطبة، ويراعي أساسيات الدين، ويرسم أولوية على أساس القيم والمبادئ الإسلامية الثلاثة المعروفة وهي: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن[37]. والجدير بالذكر أن الخطاب الإسلامي ليس هو الإسلام، وإنما هو تفسير وتأويل وتفاعل العقل المسلم مع الدين كرسالة سماوية.

فقد حاول خطاب النهضة التمييز بين نسقين، واحد إلهي وآخر إنساني، وبذلك حاول رفع النص المقدس الإلهي خارج الأطر المعرفية والاجتماعية والسياسية الحديثة، إذ اعتقد مفكرو النهضة أن إعادة قراءة الإسلام، من جهة نظر ليبرالية، تسمح بقيام الثورة القومية الديمقراطية تحت غطاء الإسلام نفسه، وبذلك تحول الإسلام إلى تبريرات مفهومية حول الديمقراطية والتمدن والتكافل الاجتماعي؛ فالمدينة الحقيقية حسب (محمد عبده) مطابقة للإسلام، والموروث الثقافي المحلي وقع حقيقة تحت هيمنة الفكر الثقافي العالمي في مرحلة التوسع الرأسمالي الاستعماري، وخضع له بحجة استيعابية[38]، ومن جهة أدت علمانية الدولة السلطوية << إلى صعود الإسلام السياسي. فالقول بعلمانية الدولة العربية، وتدين المجتمع العربي، هي دعوة للقول بتغربها عن مجتمعها.

فالنخبة العلمانية تسوغ لذلك، تجد هذه الأكثرية السلطة الفعلية، تحت شعار أن الأكثرية هي أكثرية طائفية. لذلك، تجد هذه الأكثرية في الدين آخر مرجع لها في مواجهة السلطة النخبوية السلطوية>>[39].

وهكذا خلقت رؤية العالم الجديدة خطابا على صورتها ومثالها، وهي صورة لم تختلف في عناصر الخطاب التجديدي في طوره الثالث والذي ورثته مكتمل العناصر، لكنه اكتمال نظري، أصبح في مركب الخطاب الجديد جزءا فعليا بدأ يأخذ حظه من الفعل والتأثير، فلقد انتهى المركب المكون لخطاب التجديد الإسلامي إلى تشكيل بنية مؤلفه من علاقات لعناصر ثلاثة: التراث، المعرفة الحداثية[40]، النص (الوحي) بوصفه مرجعا، يحكمها نظام ناشئ من فهم مكونات هذه العناصر ذاتها، ولا شك أن معالم الخطاب الجديد تتضح من خلال تركيبة نظام العلاقات بينها[41].

أ-الخصائص العامة الخطاب الديني:

والخطاب الديني في أصوله وأسسه لا يتغير، لكن الذي يتغير هو الأسلوب أو الطريقة، يعد الدين ظاهرة اجتماعية وثقافية بالغة الخصوصي، والتأثير في حياة البشر، الأمر الذي يسمها بعديد من الخصائص التي تنبع من جوهرها ونظرة أتباعها إليها على اختلاف مستوياتهم، ولعله من طبائع الأمور أن تترك تلك الخصائص آثارها على الخطاب الديني بشكل أو بآخر، وإن تباينت الظروف والأزمة، وهو ما يرجع إلى عمومية تلك الخصائص وديمومتها، ويجمل بعض الباحثين هذه الخصائص في[42]:

- الدين ظاهرة متعدد الأبعاد: فهو ظاهرة قيمية نظامية، وهو ظاهرة فردية وجماعية، وهو ظاهرة نفسية وسلوكية في آن واحد، وتترك تلك الحقيقة أثرها في الجوانب والأبعاد المتعددة للخطاب الديني الذي يتراوح بين تلك الظواهر المختلفة.

– الدين ظاهرة إنسانية عامة: عرفتها كافة المجتمعات، وكل العصور، وهو تعبير عن علاقة معينة، إيجابا أو سلبا بين الإنسان ومعبود معظم تختلف صورته من ديانة وأخرى وبالتالي يختلف الخطاب من ديانة إلى أخرى باختلاف طبيعة هذه العلاقة، وتصور هذا المعبود، وما يقتضيه من المؤمنين به.

– تدعو جميع الأديان إلى الأخلاق الحميدة والتزام الفضيلة وتهذيب النفس، تستوي في ذلك الأديان السماوية وغير السماوية، كما أنها تميل جميعا إلى تفسير كافة الأزمان والأغراض الاجتماعية بأنها نتاج الخروج على هذه القيم الأخلاقية والتعاليم الدينية فيما يمثل قاسما مشتركا بين الخطابات الدينية رغم اختلاف الديانة.

– يضم كل ديانة تصورا يقوم على الازدواجية يوضح ما هو الخير وما هو الشر وما هو الصالح والفاسد، وما هو المقدس والمدنس، وهو ما يعد بمثابة القلب من الخطابات الدينية على تنوعها واختلافها.

– تقوم كل ديانة على الوحدة والترابط والنظرة الكلية، بمعنى أنها ترفض الخروج عن أي جزء من جزئياتها؛ أي ترفض نبذ أي جزء من تعاليمها، فالفرد مخير بين قبول الكل أو رفض الكل، فيصير خارج مجتمع المؤمنين، وهي سمة مميزة للخطابات الدينية المختلفة.

– تميل جميع الديانات إلى تأسيس دوجما Dogma نصوصية ومؤساسية –أي مجموعة من المبادئ الثابتة ذات المكانة القدسية التي لا يجوز مناقشتها منطقيا ولا محاكمتها تجريبيا ويضرم الأتباع بالإذعان لها ليس فقط في المجال الديني الصرف، وإنما –أيضا– في مجمل العلاقات والممارسات الاجتماعية الأخرى وعلى ذلك فليس كل جوانب الخطاب الديني مما يقبل

الاختيار أو المناقشة المنطقية، حيث إنه في معظمه موجه لجمهور من المؤمنين به بالفعل.

– الغموض يمثل صورة رئيسية في كل ديانة وهو أمر يفرضه احتوائها على عناصر غيبية يؤمن بها أتباع الديانة، بينما قد تفتقد هذه العناصر القدرة على الإقناع بها لدى أتباع الديانات الأخرى، وبالتالي فإنه على حين تدعم هذه العناصر الخطاب الخاص بديانة ما، فإنها قد تمثل عنصر ضعف وتهافت إذا وجهت إلى غير المؤمنين بها.

– لكل دين أدواته ورموزه التي يؤلف بها بين أتباعه وينظم بها شؤون عبادتهم وشعائرهم كالمعابد والكنائس والمساجد. وتلك المؤسسات هي التي تطورت في بعض الديانات من مجرد مؤسسات لإقامة الشعائر إلى مؤسسات لنتاج الخطاب الديني وتوجيهه إلى جمهور المؤمنين، فضلا عن مواجهة شبهات الرافضين.

– لكل ديانة هيئة تضطلع بمسؤوليات إدارة شؤون العبادة بحكمها نظام خاص، حيث يحدد لكل مجموعة تخصصها الوظيفي ومهامها التي ينصرف جلها إلى إنتاج أو نقل مستويات وأنواع مختلفة من الخطاب الديني الموجه لجمهور التابعين ومواجهة شبهات الرافضين.

– تقوم معظم الأديان على فكرة التعصب الناشئ عن الإيمان العميق بالعقيدة، وما يستتبعه ذلك من استعلاء على معتقدات الآخرين، أو عدم الاعتراف بها على الإطلاق، على أن التعصب صورة أخرى تتمثل في عدم رضا المتعصب عن الواقع الاجتماعي للدين الذي يتبعه وإحساسه باستخفاف المجتمع به وانحرافه عنه. وفي كلتا الحالتين يعكس التعصب أثره عبر أنماط متشنجة من الخطاب الديني يستبعد الآخر من غير أبناء الديانة، أو يستبعد غير الملتزمين من أتباعها في نظر المتعصب.

وتجدر الإشارة إلى أنه يتعين التمييز في الدين الإسلامي بين الثابت والمتغير، فلا بد من التفرقة بين النصوص القطعية والظنية، والأصول والفروع. لأن القطعية والأصول ثابتة، لا مجال للتجديد فيها، أما الظنية فهي قابلة للاجتهاد والتجديد. ومن ثوابت الدين الإسلامي- التي لا تقبل التجديد- هي العقيدة، وأركان الإسلام الخمسة، وكل ما ثبت بدليل قطعي من المحرمات، وما ثبت بطرق قطعية في شؤون الأسرة من زواج وطلاق وميراث ومعاملات، أما المتغيرات مجال الاجتهاد فهي الأحكام الظنية [43].

ومن ناحية جاءت نصوص القرآن، المتعلقة بالأحكام العملية المتغيرة مثل: الأحكام المدينة والدستورية والجنائية والاقتصاد متضمنة الأحكام الأساسية والمبادئ العامة، التي لا تختلف فيها بيئة وبيئة، وتقتضيها العدالة في كل أمة، ليكون أولوا الأمر –في أية أمة- في سعة من أن يفرعوا ويفصلوا حسبما يلائم حالهم وتقتضيه مصالحهم.

وفي هذا السياق يذهب الغزالي إلى أن الواقعة التي لا نص فيها ولا خطاب، إنما يطلب فيها غلبة الظن، ويرسم عن ذلك صورة رائعة حيث يجعل المجتهد في هذه الحالة كمن كان على ساحل البحر وقيل له: إن غلب على ظنك السلامة أبيح لك الركوب، وإن غلب على ظنك الهلاك حرم عليك الركوب، وقيل حصول الظن لا حكم لله عليك، وإنما حكمه يترتب على ظنك ويتبع ظنك بعد حصوله، فهو يطلب الظن دون الإباحة والتحريم[44].

وهذه المتغيرات تتسع بطبيعتها لتطبيقات عدة، وصيغ مختلفة، كلها مشروع ما دام يحقق مصلحة معتبرة في موازين الإسلام ولا يصدم مقصدا من مقاصده. وليس بلازم أن تكون صيغة واحدة من صيغ هذه المتغيرات هي الصيغة المشروعة دون غيرها، وما دام الإطار شرعيا فليأت المضمون في أية صيغة يتسع لهذا الإطار، والمتأمل في بعض الآراء الرائجة والمناهضة للتجديد

الآن، يلاحظ فيها خلطا بين هذين الأمرين، وأن صيغة معينة تكتسب، دائما شرعية تنفي بها الصيغ الأخرى التي تحقق ذات المقصد، لا لشيء إلا لأن هذه الصيغة كانت على صورة معينة فرضها قانون الاجتماع المدني في عصر معين.

ب-**بعض مشكلات الخطاب الإسلامي:**

وعموما فإن الخطاب الإسلامي المعاصر ليس عاجزا عن تصحيح الصورة السلبية المروج لها عن الإسلام والمسلمين فقط، بل هو مع الأسف، يشارك في تنميط الإسلام وتشويهه. وهو يعبر عن ضعف وتمزق وصراع المجتمعات الإسلامية. ويمكن تشخيص هذه الحالة المتدهورة -كما حددها أحد الباحثين- في مظاهر أربعة[45]:

أولهما: الضعف العام الذي يطبع كثيرا من أنماط الخطاب الإسلامي، على مستوى المضمون الذي يتجلى في تراجع العلم أمام اكتساح الجهل، أو فشو ما يصطلح عليه بالأمية الدينية، مما يظهر في هشاشة المحتوى .

ثانيها: الارتجال والعفوية بسبب غياب التخطيط وعدم الأخذ بالأسلوب العلمي في إخضاع الموضوعات والقضايا والمواقف المعروضة والحالات القائمة للدراسة المتخصصة، والاعتماد على القدرات الذاتية، وعلى المبادرات الفردية في غالب الأحيان، والنأي عن التعاون والتكامل وتنسيق الجهود وتضافرها، والعزوف عن المواجهة الجماعية المتراصة والمتضامنة والمترابطة لما يستجد من ظروف وتطرأ من متغيرات تقتضي التعامل معها أو التصدي لها أو الرد عليها.

ثالثا: ضيق الأفق ومحدودية الرؤية والتركيز على اللحظة الحالية وحصر الاهتمام بها، من دون التطلع إلى المستقبل، والعمل على المديين

المتوسط والبعيد، وهو ما يتجلى في تحرك كثير من أنماط الخطاب الإسلامي داخل دائرة رد الفعل، وعدم اتخاذ المبادرة إلا في حالات نادرة.

رابعا: انعكاس الاختلافات المذهبية والفكرية والثقافية والصراعات السياسية المحلية والإقليمية والدولية، على الخطاب الإسلامي في مجمله، مما يجعله خطابا مشتتا، متعارضا، متعدد الرؤى، مفتقدا للترابط والانسجام.

وتنعكس هذه المظاهر السلبية على الأوضاع العامة للعالم الإسلامي، وعلى صورة الإسلام والمسلمين في العالم، وعلى مستوى رد التحدي والتصدي للحملات المغرضة التي تتعرض لها الأمة الإسلامية وتهدد وجودها وسيادة دولها واستقرار شعوبها وازدهارها ونمائها. ويتأثر الخطاب الإسلامي بهذه الأوضاع السلبية وبحالة التخلف التي يعيشها العالم الإسلامي، لدرجة أنه في أحايين كثيرة، يفقد المصداقية والفعالية والتأثير، فيصبح نتيجة لذلك، خطابا سلبيا، ولا يعدو كونه لغوا وكلاما في الهواء. إن الخطاب الإسلامي المعاصر في كثير من جوانبه، لا يعبر عن الصورة المشرقة الحقيقية للإسلام، وما عدا في حالات محدودة، وفي مواطن قليلة، وبجهود متباينة.

لذلك وجب تجديد الخطاب الإسلامي انطلاقا من أمرين: <<تجديد الخطاب الإسلامي، انطلاقا من القرآن والسنة أولا، وبشكل أساسي، ثم مما يتناسب مع خطاب العصر من التراث القديم. وليس المطلوب –بطبيعة الحال– خطابا شموليا خاليا من تعدد الآراء ووجهات النظر، فمثل هذا الخطاب لم يعرفه الإسلام في أي عصر من عصور الازدهار أو الضعف، وإنما المطلوب خطاب إنساني خال من الصراع والتخويف ونفي الآخر وادعاء الحقيقة في رأي، ومصادرتها عن رأي آخر مماثل. ثقافة إسلامية عصرية تعتمد خطابا منفتحا على ثقافة العالم والحضارات الإنسانية بهدف استكشاف عناصر التقاء يمكن توظيفها في تشكيل إطار ثقافي إسلامي عصري>>[46].

ومن هنا كان سبيل التجديد بين خيارين، إما الالتفات إلى الذات وأمرها، وفق قواعد التجديد الذاتي الحضاري الإسلامي بالتفتيش عن مصادر الوهن، وتلمس مفاتيح التجديد النابع من الذات، فيكون الصحو من الغفلة، والنهوض من الرقدة، والمضي قدما في سبيل الكرامة والتقدم بعد المكوث في الذيل والذل. وإما الالتفات بانبهار وولع إلى الآخر بمنطق المغلوبية والولع بالغالب، وإدارة الظهر للذات وأمرات العزة والاعتزاز فيها، فيكون التغرب والتغريب، والغرق في الآخر والتبعية له. إن ناظم المسألة ومناطها هو الوعي بـ (عناصر التجدد الحضاري الذاتي) والسعي بها في البحث عن مخرج من المأزق الحضاري الذي فرضه الاحتكاك بالآخر. وإن جوهر الأزمة تمركز في (مناهج التفكير ومناهج التدبير ومناهج التغيير) وفي أن بعض الذين أبدوا استعدادا لتلمس هذه المناهج والعناصر التجديدية قدموا جهودهم ومحاولاتهم، إما على نحو لا يكفي، وإما على نحو لا يكافئ المستويات التي كانت أزمة الأمة قد بلغتها[47].

وتأسيسا على ما سبق، يمكن القول إن الخطاب الإسلامي المعاصر يعيش أزمة حقيقية صار فيها المسلمون بحاجة ماسة لإنجاز وصياغة خطاب إسلامي واقعي، متوازن، يعزز الشراكة في الأوطان، ويزيل أسباب الخوف والنفور من الآخر. خطاب إسلامي جامع بين القديم والجديد، بين المحلي والعالمي، يوازن بين التمسك بالثوابت والأصول، ومتطلبات الإنسان في العصر الحالي. خطاب فاعل وقادر على وضع إجابات مقنعة لتساؤلات والتحديات التي تفرضها العولمة، ومتجاوب مع المتغيرات الراهنة بمرونة وواقعية. وبهذا تصبح واقعية الخطاب في المجتمعات الإسلامية مدخلا للتجديد والإصلاح عبر ربطه بمجريات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. لأن الخطاب الذي لا

يفهمه إلا أصحابه خطاب هزيل متعثر عاجز عن التأثير والتفاعل الإيجابي مع مشكلات المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

ج- خصائص الخطاب الإسلامي:

وبذلك يكون الخطاب الإسلامي هو ذلك الناتج الفكري المنبثق عن النصوص المكتوبة أو المقروءة أو المنقولة ومن الممارسة المجتمعية سواء جاءت في شكل قراءات واجتهادات فردية أو جماعية حيال النصوص الإسلامية التأسيسية المتمثلة بالضرورة وبالدرجة الأولى في الوحي (القرآن والسنة[48] ومن خصائص هذا الخطاب[49]:

1- في سياق تسجيل الملاحظة الأولية أنه لا يوجد خطاب ديني واحد، بل خطابات متعددة ففي البلد الواحد يمكن أن نجد الخطاب الديني الرسمي وغير الرسمي، والمنغلق والمنفتح، والخطاب المعتدل والمتطرف والسلفي والصوفي.

2- الخطاب الإسلامي متعدد في الأهداف ومتساوق مع الأبعاد الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية والفكرية.

3- الخطاب الديني الإسلامي متأثر بالجغرافيا والمكان نظرا إلى عدم وجود المسلمين في منطقة ثقافية واحدة فهم موزعون جغرافيا على كل قارات الدنيا.

4- الخطاب الديني الإسلامي هو من الاتساع بحيث اعتبره بعض الفقهاء البيان يوجه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين وغير مسلمين لدعوتهم إلى الإسلام أو تعليمه لهم وتربيتهم عليه، ويتضمن العقيدة والشريعة والعبادة والمعاملة والفكر والسلوك والموقف من الحياة والعالم، والقضايا الفردية والاجتماعية والروحية والمادية والنظرية والعلمية. فهو خطاب يتميز بالسعة

والشمول، فإذا كانت هذه بعض خصوصيات الخطاب الديني فما هي معوقاته وآليات تجديده؟

لكن حالت من جهة العوائق الأيديولوجية دون تجديد الخطاب الديني والتي تمثلت أساسا في خطاب حركات التقليد التي وقفت في وجه الدعوات التجديدية والإصلاحية علما أن العوائق الأيديولوجية ظلت محملة بعوائق ابستمولوجية تمظهرت بشكل كبير في كون حتى المبادرات الإصلاحية لم تتجاوز صميم الحقل الأخلاقي والدعوي، ولم تستطع الانتقال إلى الاستدلال العقلي والمنطقي الذي يشد من أزر التنظير السياسي والاجتماعي والفكري لمشاكل وإكراهات العصر كما أن العوائق الأمنية حالت من جهة أخرى دون تجديد هذا الخطاب والتي تمثلت أساسا في انصراف كثير من جهود الدول العربية والإسلامية سواء من الناحية المالية والإدارية أو السياسية إلى المسألة الأمنية، بقصد تكريس والمحافظة على هيبة الدولة داخليا وخارجيا[50].

د- أشكال الخطاب الديني:

هذا الخطاب الديني، في أية من الأمم وحضارة من الحضارات ودين من الأديان وثقافة من الثقافات، يستحيل أن يكون خطابا واحدا، وإنما هو، عدد من الخطابات وأشهرها[51]:

السلفوية: وتتجلى في حقول كثيرة، ليس الديني إلا واحد منها. ويقوم مبدؤها التأسيسي المعرفي (الإبيستيمولوجي) على النظر إلى الماضي ماضويا بوصفه مبتدى الحقيقة ومنتهاها. وعلى هذه الطريق، يقصى مصطلح (التاريخ المفتوح)، ليرتبط تقدم البشرية ماضيها وليس بمستقبلها، بحيث نواجه (الماضي الذهبي) كمرجعية مطلقة، و(الحاضر المنحرف أو الجاهلي) كعبء ينبغي الإجهاز عليه. وفي هذا وذاك، ويغدو التحدث عن (نهضة عربية تنويرية جديدة) بوصفها خروجا من انحطاط قائم ودخولا في حالة جديدة مفتوحة أمرا

مرفوضا: إن ما ينحرف عن الحقيقة ليس هو (الفكرة المطلقة الذهبية) –فهذه متوهجة دائما وبإطلاق– وإنما هو (الواقع الجديد)، إذن نطوع الواقع للفكرة، ونرفض المبدأ القائل إن الأحكام تتغير بتغير الأماكن والأزمان(52). وأرى أن السلفية ليست ماض بعينه، السلفية هي أن تقع الذات سجينة ماض ما وفكر ما، ولا تستطيع الفكاك منه، بحيث لا يمكنها أن تنتج نفسها وتعيد صياغة ذاتها وفق واقعها الراهن، دون أن تتخلى عن ملامح ماضيها المحلي مستفيدة من التراث الإنساني بما يخدم خصوصيتها، إذا أرادت أن تكون كيانا فكريا وثقافيا قائما مستقلا، له القدرة على محاورة الكيانات الأخرة.

المذاهب: لقد بدأ فجر النهضة العربية منذ قرنين من الزمان بثلاث بدايات متمايزة كلها جادة وأصلية. الأولى في النفوس، يحدد تصور الناس للعالم، ويضع معاييرهم للسلوك، فالتراث مازال متواصلا، من الماضي إلى الحاضر. ونظرا لسيادة روح المحافظة عليه في العصور المتأخرة، وأحادية النظرية، الأشعرية في العقيدة، والشافعية في الشريعة، واستبعاد الفرق والمذاهب الأخرى التي كانت تمثل الرأي الآخر، المعتزلة والخوارج والشيعة، فقد بدأ الإصلاح الديني يتخلص من روح المحافظة، ويرد الاعتبار للرأي الآخر، فأصبح (محمد عبده) أشعريا في التوحيد معتزليا في العدل. واعتبر الشيخ (شلتوت) الفقه الجعفري مذهبا خامسا، وتأسيس جماعة التقريب بين المذاهب، واندلاع الثورة الإسلامية في إيران، حزب الله في جنوب لبنان، وظهر المعتزلة الجدد يدعون إلى العقل والحرية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[53].

خطاب النهضة: وضع الأفغاني أسس الأيديولوجية الإسلامية الثورية، الإسلام في مواجهة الاستعمار في الخارج والقهر في الداخل، واندلعت الثورة العربية بناء على تعاليمه بعد صيحة عرابي في قصر عابدين(إن الله خلقنا أحرارا ولم يخلقنا عقارا، والله لا نورث بعد اليوم). واندلعت الثورة المهدية في

السودان، والسنوسية في ليبيا ثم (عمر المختار). ونشأت حركات الاستقلال في المغرب العربي، (علال الفاسي)، و(عبد الحميد بن باديس)، وحركة علماء الجزائر، و(البشير الإبراهيمي)، وعلماء الزيتونة، و(الطاهر بن عاشور)، و(الفضل بن عاشور). وامتدت النهضة الإسلامية إلى الهند. فظهر (أحمد خان) مدافعا عن الحداثة والعصرية من خلال التعليم والثقافة. ثم ظهر (محمد إقبال) مؤسسا الذاتية المستقلة في مواجهة الغرب باسم الاجتهاد دون التقليد. وكانت الحركة الإصلاحية قد بدأت من قبل وسط شبه الجزيرة العربية في الحركة الوهابية تنقية للتوحيد، ورفضا لكل الوساطة بين الإنسان والله، وكل أنواع الشرك النظري والعملي، وإقامة سلطة سياسية تحول الدعوة الدينية إلى دولة وإن غلب النقل على العقل(54).

وكان من بين مبادئها الأولى التحقيق في استشهاده حدث صدام بين الإخوان والثورة، صراعا على السلطة في 1954. ودخل (السيد قطب) بعدها السجن، وتحت أهوال التعذيب، تحول من (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و(معركة الإسلام والرأسمالية) و(السلام العالمي والإسلام) إلى (معالم في الطريق)، يضع تقابلا بل تناقضا وتضادا بين الإسلام والجاهلية، الله والطاغوت، الإيمان والكفر. وكانت الفكرة أن الإسلام لن يقضي على نقائضه إلا جيل قرآني فريد تحت شعار (لا إله إلا الله) وإعلان الحاكمية(55).

وداخل السجون تحول التنوير الإسلامي إلى خطاب أصولي متمثل في جماعات العنف. جماعة الجهاد، وجماعات التكفير والهجرة. تعتمد على النقل دون العقل، وتتمسك بالعقيدة والشريعة، وبالحاكمية، وتدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وتعتقد بقطعية الحكم، يصعب معها الحوار، تستبعد وتقصي المخالفين وتكفر باقي التيارات (العلمانية). تعادي الدولة الوطنية والقومية العربية، وتدافع عن الأممية الإسلامية. تقع في جدل الكل أو لا شيء، وهدم ما

هو قائم من أجل البناء من جديد دون أنقاض. ولا ضير من استعمال العنف والإعداد للانقلاب مادام وجودها مازال غير معترف به[56].

ومن ألوان الخطاب الديني الإسلامي في واقعنا المعاصر، خطاب الرفض والغضب والعنف والاحتجاج، وهو خطاب يمثل فصيل من فصائل فقه وفكر، نصوصية الجمود والتقليد، الذي استفزه بؤس الواقع الذي يعيشه المسلمون تحت هيمنة الغرب واستبداد النظم والحكومات –الموضوعة غربيا، أو المحروسة غربيا! فرفض هذا الفصيل طرق (الإصلاح) واختار طريق (العنف)، وأدار ظهره لسنة (التدرج) في الإصلاح، وتعجل القفز على السلطة والدولة، بالانقلاب بدلا من مشاق طريق التربية والنوعية وتهيئة المجتمعات الإسلامية، بإعادة صياغة إسلامية تشكل إسلامية سجايا وشمائل هذا الإنسان[57].

ومن أسباب ظهور هذا المصطلح (الإرهاب) على الساحة الثقافية في العصر الحاضر هو دعوة أمريكا العالم الإسلامي إلى تغيير المناهج الدينية في المدارس والجامعات الإسلامية لأنها ترى أن المناهج الحالية تدعو إلى التطرف والإرهاب[58].

هـ- الخطاب الإسلامي في المنظور السياسي:

1- **الخطاب الإسلامي/التخلف والإرهاب:** ولا شك أن هناك خللا ما فيما يتصل بقضية الخطاب المعاصر في العالم الإسلامي، لا يمكن إنكاره ولا تجاهله، وأن هذا الخلل قد عبر عن نفسه بصورة مختلفة وصلت لاختزال الإسلام في الوقت الراهن في كلمتين هما: ((الإرهاب) و(التخلف) وصار ذلك عنوانا يتردد بقوة في الأدبيات المعاصرة في الشرق والغرب على السواء على كافة مستويات الخطاب المعاصر سياسيا كان هذا الخطاب، أو ثقافيا، أو إعلاميا، وقد ساهم بصوره المختلفة نتيجة لثورة الاتصالات والمعلومات في

تثبيت هذا المفهوم بقوة وفاعلية غير مسبوقة، حتى أوشك أن يستقر ذلك المفهوم السلبي عن الإسلام كدين يولد الإرهاب ويكرس التخلف كصفة لازمة للإسلام وكعلامة تدمغ المسلمين[59].

2- **الخطاب الإسلامي/السلطة والمعارضة:** ولما كان الإسلام بمثابة (أيديولوجيا) للسلطة والمعارضة في آن فقد عول المجددون جميعا عل تجديده وتطويعه لخدمة غايات سياسية في المحل الأول، وإذا ألح منظرو السلطة وفقهاؤها على منهجية (الثبات)، فقد تبنى مجددو المعارضة آلية (التحول) فكان الأوائل ينظرون لاستمرارية الأمر الواقع، بينما جنح الأخيرون إلى العمل على ضرورة تغييره، وذلك عن طريق فتح باب الاجتهاد في التشريع –لا في العقيدة– على مصراعيه، تلك مقدمة لازمة وضرورية للاسترشاد بمقولاتها في دراسة ما ترى حاليا في الساحة من الدعوة إلى (تجديد الخطاب الديني) وهي دعوة قد تكون مجدية ومن ثم مشروعة، وإذا كانت تستهدف حقا تجديد هذا الخطاب، وليس تسخيره لخدمة أغراض سياسية طارئة وموقوتة[60].

الخطاب الإسلامي/المؤسسات الدينية التابعة للدولة: وهناك فكر نمطي سلطوي ورسمي يتعلق بالمؤسسات الدينية التابعة للدولة، كالأزهر والزيتونة والقرويين وغيرها. وهو فكر تبريري تسويفي لسياسات الحكام. يدور في فلك تلك النظم[61]. واتجاه آخر يرى نفسه المعبر الحقيقي عن الإسلام في صفائه، وهو الاتجاه الأصولي بتياراته المختلفة، ومعلوم أن هذا الاتجاه في نشأته وتطوره ظهر كرد فعل طبيعي لمفاسد السلطة وإيديولوجيتها الدينية الرسمية، كما صاغ أفكاره ومعتقداته المتطرفة، كالحاكمية والتكفير وادعاء امتلاك الحقيقة الدينية إلخ، من خلال المعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية. ونظرا لما اتسم به هذا الاتجاه –بجميع تياراته– يجري توظيفه من قبل نظم ديينية، وقوى أجنبية لتكريس التخلف، وتعويق المشروعات

النهضوية، ومواجهة النظم والأفكار التقدمية المعارضة له. الأمر الذي أفضى إلى أحداث دامية وتشرذمات وصراعات متواصلة –كما هو الحال في الجزائر والسودان على سبيل المثال– كذا توجهها نحو معاداة الغرب في صورة أعادت مناخ (الحروب الصليبية) فاستثمرها، واتخذ منها ذريعة لسياساته المعادية وأطماعه المعلنة والمستمرة ضد الإسلام والمسلمين(62).

الخطاب الإسلامي/ومشروع العلماني: ولا خلاف على أن الدين –وليس الإسلام وحده– يجب أن يكون عنصرا أساسيا في أي مشروع للنهضة، والخلاف يتركز حول المقصود من الدين: هل المقصود الدين كما يطرح ويمارس بشكل أيديولوجي نفعي من جانب اليمين واليسار على السواء، أم الدين بعد تحليله وفهمه وتأويلا علميا ينفي عنه الأسطورة، ويستبقي ما فيه من قوة دافعة نحو التقدم والعدل والحرية؟ ويرى العض أن العلمانية في جوهرها ليست سوى التأويل الحقيقي والفهم العلمي للدين، ولا ما يروج له من أنها الإلحاد الذي يفصل الدين عن المجتمع والحياة. إن الخطاب الديني يخلط عن عمد وبوعي بين فصل الدولة عن الكنيسة، أي فصل السلطة السياسية عن الدين، وبين فصل الدين عن المجتمع والحياة. الفصل الأول ممكن وضروري وقد حققته أوروبا بالفعل، فخرجت من ظلام العصور الوسطى إلى رحاب العلم والتقدم والحرية، أما الفصل الثاني –فصل الدين عن المجتمع والحياة– فهو وهم يروج له الخطاب الديني في محاربته، وليكرس اتهامه لها بالإلحاد(63).

يبدو أن هذه النظرة يغلب عليها الميل إلى انتقاد الخطاب الديني بعنف، وتبني الطرح العلماني، تقدمه على أنه بديل يمكنه تحقيق النهضة والحداثة في المجتمعات العربية والإسلامية، لكنه يضمر في طياته رفضا قاطعا للخطاب الديني، ولا يرى فيه شريكا، ولعل الممارسة الفعلية لخطاب العلمانية قد أثبتت ذلك على مر السنوات، لذا لا يمكن اتهام الخطاب الديني وحده برفض الآخر

المختلف فكريا وعقديا، وهنا يمكن القول أن الخطاب العلماني هو وجه آخر للأصولية لما يمارس من إقصاء ورفض لجميع الخطابات الدينية على اختلاف تصوراتها.

ويسأل هذا الاتجاه (العلماني): من يملك قوة فصم الدين عن المجتمع أو الحياة، وأية قوة تستطيع تنفيذ القرار إذا أمكن له الصدور؟ والهدف الذي يسعى له الخطاب الديني من ذلك الخلط ، فيجمع أصحاب المصلحة في إنتاجه بين قوة الدين وقوة الدولة، بين السلطة السياسية والسلطة الدينية. ويزعمون فوق ذلك كله أن الإسلام الذي ينادون به لا يعترف بالكهنوت ولا يقبله. لكنه يناقض نفسه ويحدثنا عن أسلمة العلوم والآداب والفنون! يشبه في ذلك كنيسة العصور الوسطى في أوروبا.[64]

و- منطلقات وآليات الخطاب الإسلامي:

يتجلى التطابق في اعتماد نمطي للخطاب على عناصر أساسية ثابتة في بنية الخطاب الديني بشكل عام، عناصر أساسية غير قابلة للنقاش أو الحوار أو المساومة في القلب من هذه العناصر عنصران جوهريان هما: النص والحاكمية. وكما يتطابق نمطا الخطاب من حيث المنطلقات الفكرية، يتطابقان كذلك من حيث الآليات التي تعتمدان عليها في طرح المفاهيم، وفي إقناع الآخرين واكتساب الأنصار والأعوان. وتتعدد آليات الخطاب وتتنوع بتعدد وسائل طرح هذا الخطاب وأدواته، ومع ذلك فهناك جامع مشترك يمكن رصده وتحليله، خاصة إذا استبعد من مجال التحليل آليات الأداء الشفاهي، واقتصر التحليل على الآليات الذهنية والعقلية[65]، التي توجد في كل –أو معظم– وسائل هذا الخطاب وأدواته. وتتوقف هذه الدراسة عند ما تعتبره أهم آليات هذا الخطاب، وهي تلك الآليات الكاشفة عن المستوى الأيديولوجي لهذا الخطاب،

وهو المستوى الذي يجمع بين الاعتدال والتطرف من جهة، وبين الفقهاء والوعاظ من جهة أخرى، هذه الآليات يمكن لنا إجمالها فيما يلي[66]:

1- التوحيد بين الفكر والدين وإلغاء المسافة بين الذات والموضوع.

2- يفسر الظواهر بردها جميعا إلى مبدأ أو علة أولى تستوي في ذلك الظواهر الاجتماعية أو الطبيعية.

3- الاعتماد على سلطة (السلف) أو(التراث)، بعد تحويل النصوص التراثية –وهي نصوص ثانوية- إلى نصوص أولية تتمتع بقدر هائل من القداسة لا تقل –في كثير من الأحوال- عن النصوص الأصلية.

4- اليقين الذهني والحسم الفكري (القطعي)، ورفض أي خلاف فكري – من ثم- إلا إذا كان في الفروع والتفاصيل دون الأسس والأصول.

5- إهدار البعد التاريخي وتجاهله، ويتجلى هذا في البكاء على الماضي الجميل، يستوي في ذلك العصر الذهبي للخلافة الرشيدة، وعصر الخلافة التركية العثماني.

يصعب في الحقيقة في تحليل خطاب ما الفصل بين آلياته ومنطلقاته الفكرية، فكل منهما يحتوي الآخر ويدل عليه دلالة لزوم. وكثيرا ما تتداخل الآليات والمنطلقات إلى درجة التوحد في الخطاب الديني خاصة، حتى ليستحيل التفرقة بينهما [67]. ومن المنطلقات الفكرية للخطاب الديني: الحاكمية والنص.

ويحدد (أحمد زايد) آليات الخطاب الديني الإسلامي موضحا بداية مفهوم الآلية فيقول: <<يشير مفهوم الآلية إلى الطريقة التي تؤدي بها الأشياء، أو إلى الأساليب والإجراءات والعمليات التي يتم من خلالها عمل شيء ما>>[68] في ضوء هذا التعريف يستخدم مفهوم الآلية للإشارة إلى الأساليب والطرق والوسائل التي ينتج بها الخطاب، وتجعله يتخذ وجهة معينة. ويحدد هذه الآليات الهدف

من الخطاب، والجمهور الذي يستهدفه، والمسار الذي يسير فيه النص (مكتوبا أو منقولا) من بدايته حتى نهايته.

هكذا يصبح الخطاب عند (أحمد زايد) دلالة على التوعية الدينية، والتبشير بالإسلام، وتعميق وعيهم بواقعهم وماضيهم، وحثهم واستنهاضهم. في محاولة أسلمة العالم الإسلامي بصورة جديدة، وفق رؤى مختلة[69]. وبذلك يكون لكل خطاب آليات كامنة وأخرى ظاهرة، من أجل إنتاجه وتقديمه بالصورة التي يظهر بها في النهاية. وبالضرورة تختلف باختلاف أهداف الخطاب وجمهوره ومساره، وتبعا لاختلاف الفرضيات التي ينبني عليها الخطاب.

وأول الآليات المقارنة بين الواقع والمثال (ثلاثية الإسلام – الغرب – الواقع): يتأسس الخطاب الديني على افتراضات إسلامية خالصة، وينطلق من مسلمة أنه يمثل الإسلام الخالص أو المثالي، ويدعو إليه[70]، ويعيد الخطاب إنتاج نفسه من خلال اتجاهه المحافظ، والمقارنة بين واقع الحال وبين المثل العليا، كما ينعكس في المقارنة الدائمة بين المسلمين ومراجعتها على نصوص القرآن والسنة، ومن جهة يقيم حوارا مع ثلاثة اتجاهات: الأول هو الإسلام كما يتصوره صاحب الخطاب نقيا ومثاليا، وواقع المسلمين الذي يهدف الخطاب إلى تغييره، والذي يرى فيه واقعا ناقصا، والثالث هو الغرب بفكره وثقافته ومجتمعه الذي يتم تصويره على أنه أحد مصادر الفساد الذي أصاب العالم الإسلامي[71].

ثانيا– الاحتكام إلى النصوص المقدسة: الاستعانة بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية في إثبات أهمية الموضوع والافتراضات التي يقوم عليها الخطاب[72].

ثالثا– النقد: الخطاب يتنج من ذات ناقدة، فيكون للنقد آليته الأساسية، وهو يكشف عن آلية فرعية[73]الحث والتحفيز، التخويف وتقديم النصائح،

المزاوجة بين التفاؤل والتشاؤم، الدهشة المصحوبة أحيانا بالشماتة، السرد والأسلوب القصصي، جلد الذات، التعميم على كافة العرب والمسلمين[74].

رابعا- التمسرح: ويظهر التمسرح في خطاب الدعاة الجدد. فهناك تداخل بين طريقة تقديم الخطاب الديني وثقافة الاستهلاك الجماهيري، إذ يستخدم أساليب خطاب مختلفة مباشرة وغير مباشرة، ناصحة أحيانا، ومرهبة أحيانا، وفي كل الأحوال ينقل المستمع من النقيض إلى النقيض، وكأنه عمل درامي يراوغ مشاعر المتلقي دافعا إياه إلى قناعة معينة. وتكتمل عملية التمسرح بالصورة التي يطل من خلالها الخطاب الديني وفق حركات صاحبه وملامح وجهه[75]. تدل هذه الآلية على أن الخطاب لا يتشكل من النص المكتوب أو المسموع وحده، بل تتداخل فيه عناصر إنتاجية كالأدوات السمعية والبصرية، التي ينتج بها، والطريقة التي يعرض بها، والطريقة التي يتم بها.

خامسا- الثنائية والنخبوية: يميل الخطاب إلى المقارنة بين الماضي والحاضر بشكل مستمر، وبين أحوال الغرب وأحوالنا، وبين الأفراد المستقيمين ونقضائهم المنحرفين. وتقدم هذه الثنائيات بشكل يعبر عن تناقض واضح، يشعر المتلقي بأن ثمة هوة كبيرة بين قطبي الثنائية مما يعمق لديه الإحساس بوطأة الواقع وحلاوة الحلم بالمستقبل[76].

سادسا-الانتقائية: يميل الخطاب إلى انتقاء أمثلته من الحاضر (الغرب والدول المتقدمة) ومن الماضي (نماذج ومواقف مشرقة لخلفاء أو رقادة جيوش)[77].

سابعا-النصح والإرشاد

ثامنا-الافتتان بالعلم: يتحدث الخطاب عن العلم والتكنولوجيا، ويقارن بين تقدم العلم، وتخلف المسلمين[78].

ومن ثم فالخطاب الديني من أهم الخطابات في الفكر العربي القديم والمعاصر. ما زال يطغى على الخطاب الفلسفي العقلاني، والخطاب العلمي التجريبي، والخطاب الفني الجمالي. يلجأ إليه الناس في كل أحوالهم، كوسيلة للتغلب على أوضاعهم، ويفسرون به حياتهم اليومية، وكل ما يحدث فيها من وقائع، فكلها بقضاء وقدر. يصدر عن ثقافة الناس وتاريخهم، يتعلمونه منذ الصغر، ويعد طاقة كامنة في قلوب أتباعه.

وبالعودة إلى التاريخ نجد أن الخطاب الديني هو نقل العرب، من قبائل متناحرة إلى دولة وخلافة متسعة الجغرافيا، إلى أن انهارت على يد الاستعمار الغربي، وإعادة تقسيمها إلى دويلات تابعة سياسيا واقتصادية للغرب. ليبدأ خطابا دينيا جديدا، أصبح بمرور الوقت عائماً ليس له واقع، يكاد يكون خاليا من أي دلالة، ومن أي هدف مفرغا من محتواه، يكرر نفسه في مشاهد أغلبها استعراضي. حيث أصبح لدى الكثيرين من الناس بلا معنى مملا يبعث على النفور، محصورا في موضوعات ثابتة كالتوحيد، والخلق، والساعة. بعيدا عن المتغيرات الحياتية، يعيش في المطلق. حتى أصبح يتهم بالماضوية والسلفية، التي تعتمد النص مهملة العقل، وهو الخطاب الذي قد تفضله السلطة الحاكمة، وتبشر به في وسائلها. تتخذه لتبرير ما تمارسه من سياسات. ومن جهة قد يتوجه هذا الخطاب إلى الشعب لاحتوائه، مستعملا الترهيب والترغيب، يقول عنه (حسن حنفي):<<هو خطاب يظهر خاصة في المناسبات الدينية والأعياد والموالد. وترتبط به العادات الشعبية، فالدين وعاء شعبي للفرح والحزن، للنصر وللهزيمة، للالتزام أو الاغتراب>>[79]. وإن كان هذا الخطاب لا يمثل سوى خطابا دينيا واحدا فهناك خطابات تختلف عنه حد التناقض، بل أحيانا تتخاصم، وتتصارع.

ز- **العولمة والأصولية:** تمثل علاقة العولمة بالدين وبالأصولية عموما، منطقة صراع وتوتر وتناقضات. فالعولمة قاطرة عملية الحداثة والتحديث، وبالتالي تهدد الثابت والأصيل، كما يتصوره المتدينون والأصوليون، الذين يحاولون الحفاظ على نقاء هذا العالم وثباته، باعتبار أن التغييرات والتحولات بالذات السريعة هي مصدر تشويش لفهم وإدراك الحكمة من خلق هذا العالم، أو ما يسميه بعض الإسلاميين: السنن الكونية. وتقاوم الأصوليات الدينية، وتعارض العولمة لأسباب تبدو في ظاهرها متناقضة وهي التعميم والنسبية. إذ ترى في العولمة محاولة لتعميم نموذجها الحضاري، وفرضه على العالم بكل الوسائل الممكنة. ومن جهة تعتبر فكر العولمة يؤمن بنسبية الأشياء، مما يهدد الفكر الأحادي والمؤمن بالمطلق؛ فالعولمة في مضمونها ورؤيتها الفكرية هي تعبير عقلي عن مرحلة الحداثة، ثم ما بعد الحداثة. وقد مثلت مرحلة متقدمة في العقلانية والتطور الاقتصادي والتكنولوجي والعلمي، كما تميزت بالعلمانية أي فصل الدين عن الحياة العامة، لذا كان لا بد للأصوليات أن تتناقض وتتصادم معها، فالأصولية تدعي امتلاك الحقيقة المطلقة والنهائية. الحقيقة وجدت في الماضي، يسعى الأصولي في الحاضر إلى إحياء هذه الحقيقة التي تمثلت في فكرة أو دعوة أو مجتمع مثالي مفقود. ورغم التصور الذي ظن أن الأصولية ستنحسر مع تطور العلم والمعرفة العلمية، لكن الملاحظ أنها تنمو عندما تشتد العلمانية، فقد جاءت الأصولية المسيحية كرد فعل على نظرية التطور، وازدهرت الأصولية الإسلامية في كليات الطب والهندسة والعلوم أكثر منها بين طلاب التخصصات الأخرى. فالأصولية رد فعل أو احتراز مبكر لوقف أي طارئ يراه الأصوليون مهددا للدين[80].

يرى بعض الباحثين أن الأصولية مضادة للثقافة بسبب رفضها النسبية، ولكن الأصولية في الواقع تريد ثقافة بلا إبداع وهذه معادلة صعبة أو مستحيلة.

فالثقافة في جوهرها تنوع النظرة والرؤية للكون والطبيعة والإنسان والمجتمع، بينما ثقافة الدين حين تتحول إلى الأصولية، تسعى إلى بسط ونشر نظرة ترى أنها إلهية أو ربانية. وتلجأ في الحكم على الثقافة في الفنون والآداب والفكر والفلسفة حسب معايير قيمية وأخلاقية بعيدة في كثير من الحيان عن المعايير الموضوعية لتقييم تلك النشاطات. فهي قد تستخدم مفاهيم الحلال والحرام مثلا عوضا عن الجمال والقبح عند تذوق أو تقويم لوحة ما أو مشاهدة مسرحية أو قراءة قصيدة. ومن هنا تواجه الأصولية أصعب أزمتها في أوضاع العولمة، لأن العولمة تتميز بتدفقات ثقافية وإعلامية هائلة تقف أمامها الأصولية عاجزة[81]، وإن كان الكلام هنا ينطبق على الأصولية السلفية، فهناك خطابات دينية تطمح إلى الحداثة من منطلقات عقيدتها الدينية، تحاول التعاطي معا مقتضيات العولمة مع الحفاظ على خصوصياتها الثقافية وهويتها الدينية كما يقدمها صاحبها.

تعتبر الأصولية –السلفية– شكلا حديا أو متطرفا في التعبير عن الهوية أو الخصوصية، فهي تقتصر على الدين فقط. وفي الدين تتبنى فهما وتفسيرا ضيقا يعتمد النص، رافضا أي اجتهاد يحاول ربطه بالواقع والزمن. لذا فإن الأوامر والقرارات التي تصدر وفق النص، في شكل فتوى مثلا، تكتسب قدسية ملزمة التنفيذ. ومن هنا وضعت هذه الأصولية حدودا فاصلة بين الأنا والآخر، مستخدمة في رأي(حسن حنفي)التكفير ثم الجاهلية مقابل الإسلام، فالأصولية منزوية، وهذه مشكلتها الحقيقية في التعامل مع العولمة. لا تقبل الآخر ولا تنفتح عليه، وتظن أنها مكتفية فيما يتعلق بالمعرفة والفكر والثقافة، لذا تمثل الأصولية النموذج الأقصى في جدل العولمة والهوية، تقوم العلاقة بينهما على التناقض الكامل، وهذا الوضع قائم في أصوليات كل الأديان لأنها عاجزة عن الاندماج في العالم أو المجتمع باعتباره ناقصا ومنحلا [82].

يمكن القول أن (حسن حنفي) لا يجد في الأصولية الإسلامية غير السلفية التي قد تتصف ببعض ما طرحه، لكنه يهمل الخطابات الدينية الأخرى كون الخطاب الديني متعدد، ومتنوع ولا يمكن منهجيا حصره في خطاب واحد من أجل إدانته أو الحكم عليه، فهناك خطابات تنفتح على الآخر وتتعامل معه، بل وتأخذ منه ثقافيا وفكريا، ولا ترى في نفسها، مالكة الحقيقة، ولعل الذي يدعو إلى تجديد الخطاب الديني هم الأكثر تمثيلا لهذا الاتجاه في الخطاب الديني.

والأصولية ظاهرة عولمية/كونية بدأت في دوائر البروتستانتية المسيحية في بواكير القرن العشرين، وقد استعملت على نطاق واسع كمصطلح ازدرائي لوصف الخصوم الموهومين –الذين غالبا ما يكونون دينيين و/أو سياسيين، وفي الأصل كان استعمالها ينحصر في النقاشات داخل النزعة البروتستانتية الإنجيلية (القائمة على الإنجيل) وهي تستخدم الآن للإشارة إلى أي شخص أو جماعة تتسم بالتشدد والصرامة، وعدم التسامح والتسلح. وللمصطلح استعمالان، الأقدم منهما إيجابي لوصف الذات، ثم تطور لاحقا إلى استعمال انتقاصي هو الآن واسع الانتشار. وكظاهرة، فإن الأصولية هي تكوين ثقافي خاص، ديني/أيديولوجي، وسياسي لم يزدهر إلا في الرأسمالية المتأخرة. ومنذ أحداث 11سبتمبر2001 انتشر المصطلح بدلالة سلبية، وهكذا اعتبر المتهمون به أصوليين إسلاميين، بينما وُصفت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها بأنها أصولية سياسية، ونعت القمع الإسرائيلي للفلسطينيين بأنه من طرف اليهود الأصوليين، وغالبا ما توظف الأصولية مرادفا للإرهاب. أو تصبح على الأقل في الاستعمال الشعبي أساس الإرهاب. وهناك استعمال آخر يتمثل في الأصولية النسوية والأصولية البيئية[83].

ويقدم المصطلح تبريرا للاضطهاد العنيف الذي يتعرض له من يعارضون قيم الحرية والديمقراطية التي يدعيها الغرب القوي عسكريا والمتقدم تكنولوجيا. رغم إن استعمال الأصولية هو نفسه خديعة مصطلح يأتي من داخل الثقافة الغربية المسيحية. وتصبح الطريقة التي يتسم بها التعارض مع المسيحية طريقة لتناول التعارض في مواقف أخرى، سواء أكانت صراعا دينيا أم سياسيا أم ثقافيا. ويشكل هذا الاستعمال مثالا على جهد مبذول لفهم التعارض ومحاولة لإنكار إمكان حل هذا التعارض على السواء. بينما بدأ المصطلح كوصف إيجابي للذات مع البروتستانتية الأميركية. استعمله في البداية عام 1920 (كيرتس لي لاوس) (Curtis Lee Laws) في المجلة (المعمدانية) (Watchman–Examiner). حيث تحدث عمن (يخوضون حربا ملكية دفاعا عن الأصول)، من يؤمنون ويدافعون عما يعرف حديثا بأنه أصول الإيمان[84].

ويطرح معجم (مفاتيح اصطلاحية) سؤالا مهما: كيف انتقل مصطلح الأصولية، بتاريخه المتميز في البروتستانتية الأمريكية، ليصبح مصطلحا شاملا يوصف به المسلمون والهندوس واليهود والنسويات والبيئويون، وحتى الاقتصاديون (في أستراليا)؟ ثم يجيب: لقد بدأت سمات الاستخدام الواسع للمصطلح مع صراعات البروتستانتية، لينتقل من وصف الذات إلى إلصاقه بالخصوم، وكانت المرحلة الأولى من هذا الانتقال وصف صور دينية عصبية أخرى، ثم إلى صور غير دينية من المعارضة السياسية[85]، ومثل الأصولية المسيحية، تمتاز هذه الحركات بأنها مسلحة سياسيا. فمن ناحية، يتوقع الأصوليون نهاية العالم، والانتقال الفوري إلى السماء، ليكونوا مع المسيح، أو مع الله، أو حتى مع راما؛ ومن ناحية أخرى، يتدخلون مباشرة في السياسة[86].

ولا تقتصر الأصولية على كونها عقلية، بل هي أيضا نصية، إذ لا يمكن لأي صورة من الأصولية الدينية أن توجد من دون نص مقدس. ويفهم

هذا النص بطريقة جديدة، باعتباره الكلمات العصماء لـ(محمد) (صلى الله عليه وسلم)، ومن ثم لله، أو للرب، أو لراما. وبهذه الطريقة يستطيع مختلف الزعماء أن يموهوا على مرجعية دعاواهم الخاصة بتمريرها تحت مرجعية النصوص المقصودة[87]، والأمر طبيعي من وجهة نظر المعجم كونه يتعامل مع أصحاب الديانات (الأنبياء أو الرموز، أو الزعامات)، لكن من وجهة نظر كل خطاب ديني فإنه يعتقد أنه وحده على حق، يبشر بخطابه، ولعل المسلم الأكثر يقينا بصحة خطابه الديني، وبمصادره (القرآن والسنة).

خاتمة:

وبناء على ما سبق يمكن تعريف الخطاب الديني، بأنه مفهوم مركب من لفظتين: الخطاب والديني؛ لفظة (الخطاب) يعني المحاورة والمحادثة بين طرفين أو أكثر، ونسبته للدين يقصد فيها الخطاب الذي يعتمد على مرجعية دينية في مخاطبته وأحكامه وبياناته. وتختلف هويته باختلاف الدين الذي يشكل مرجعيته، ثم طريقة الفهم والوعي بهذا الدين، وهوي وحدها تحدد توجهات الخطاب، وتعطيه صفته الفكرية والنوعية.

من هنا نكون إزاء تنوع في الخطاب الديني، ونص في موضعنا هذا الخطاب الإسلامي؛ فهناك خطاب ديني شعبي تؤسسه العادات والتقاليد يرتبط في مستوى الممارسة بقضايا اجتماعية، والخطاب الديني السلفي الذي يعتمد النقل بدل العقل، ويرى في الماضي نموذجا يمكن للحاضر أن يحدو حدوه، خطاب ديني جهادي يتبنى العنف في مواجهة المجتمع، منطلقا من ومن جهة تكفر الأنظمة السياسية وكل من يساندها، أو يرفض مقاومتها بالسلاح.

والخطابين الآخرين تأثرا بتيارات دينية ارتبطت بقضايا سياسية، لذا تبنى بعضا منه فكرة الجهاد، إذ وتتحدد بنيته الفكرية المبايعة التي يؤديها الأتباع للشيخ، يصيرون بموجبها رهن إرادته، لاغين العقل، حيث يتجمد لصالح

المتبوع، اعتقادا أن الخروج عنه بعد المبايعة حرام، و يحولهم هو إلى أدوات يحقق بها طموحاته ورغباته؛ فينتفي وجود الآخر المختلف.

إلى جانب الخطاب الديني الرسمي (السلطة)، الذي تروج له وتستخدمه في مواجهة الخصوم مسخرة كل إمكانات الدولة من إعلام وتعليم، ودور العبادة، ثم هناك ما يسمى بالخطاب الديني المعتدل، وهو تيار يقدم نفسه على أنه وسطي، ويعمل على تجديد الخطاب الديني بما يناسب الراهن السياسي والاجتماعي، وينخرط في الحياة كما هي هدفه التغيير، وفق رؤيته الخاصة، فينغمس في العمل السياسي والاجتماعي كأدوات يراها قادرة على تحقيق طموحاته.

الهوامش:

(1) – نصر حامد أبوزيد: نقد الخطاب الديني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط3/ 2007، ص7

(2)– المرجع نفسه ص8

(3)– المرجع نفسه ص9

(4)– المرجع نفسه ص22

(5) – عبد الجليل أبو المجد – عبد العالي حارث: تجديد الخطاب الإسلامي وتحديات الحداثة، أفريقيا الشرق، المغرب، 2011 ص11

(6)– المرجع نفسه ص12

(7) Philippe Forest et Gérard Conio : Dictionnaire Fondamental du Français Littéraire, Maxi-liveres 2004 p122

(8) – دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر الطبعة1/2008 ص38

(9) – نعوم تشومسكي: أفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ترجمة حمزة بن قبلان المزينى، المجلس الأعلى للثقافة، مصر 2005 ص92

(10) – فان ديك: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب 2000 ص13

(11)– المرجع نفسه ص30

(12)– المرجع نفسه ص32

(13)– طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس: مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، ط2010/1 ص322

(14)– المرجع نفسه ص323

(15) – ميشيل فوكو: نظام الخطاب ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير بيروت 2007ص9

(16) – طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس: مرجع ص324

(17)–ميشال فوكو: حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ط1987/2 ص40

(18) – المرجع نفسه ص127

(19)– المرجع نفسه ص325

(20) – فولفجانج هينه مان ديتر فيهقجر: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط2004/1 ص7

(21)– المرجع نفسه ص8

(22)– حسنة عبد السميع: سيميوطيقا اللغة و تحليل الخطاب، الإعلان التلفزيوني، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2005 ص 2

(23)– دومينيك مانغونو: مرجع سابق ص9

(24)– المرجع نفسه ص10

(25) – نورمان فاركلوف: تحليل الخطاب، التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت الطبعة2009/1ص21

(26)– المرجع نفسه ص28–29

(27)– محمد عبد الله مكازي الجريبيع: الخطاب الديني في الفضائيات العربية، دراسة في سوسيولوجيا التأثير على الشباب الأردني، رسالة دكتوراه إشراف حلمي ساري، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية 2009 ص18

(28)– المرجع نفسه ص127

(29)– المرجع نفسه ص 127

(30)– المرجع نفسه ص19

(31) – شحاتة صيام: العنف والخطاب الديني في مصر، سينا للنشر، القاهرة، مصر ط1994/2 ص63

(32) – المرجع نفسه ص64

(33) – المرجع نفسه ص154

(34)– المرجع نفسه ص156

(35)– محمد عبد الله مكازي الجريبيع مرجع سابق ص21

(36) – المرجع نفسه ص22

(37) – المرجع نفسه ص12

(38)–أحمد الموصلي: تجارب التنوير وإخفاقاتها في العالم العربي، المثقف والتراث والسلطة، المرجع نفسه ص127–128

(39) – المرجع نفسه ص134

(40)– عبد الرحمن الحاج: بنية الخطاب الإسلامي الجديد وتحولات ما بعد 11أيلول/سبتمبر، مؤتمر تجديد الخطاب الديني (2004) مركز الدراسات الإسلامية، وزارة الإعلام دمشق، دار التجديد، دمشق ص137

(41) – المرجع نفسه ص138

(42) – المرجع نفسه ص20–21

(43)–الجليل أبو المجد–عبد العالي حارث: تجديد الخطاب الإسلامي وتحديات الحداثة، أفريقيا الشرق،المغرب،2011 ص17

(44) – المرجع نفسه ص18

(45)– المرجع نفسه ص19–20

(46) – المرجع نفسه ص21

(47) – فادية مصطفى، إبراهيم البيومي غانم: حال تجديد الخطاب الديني في مصر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ط2006/1 ص73

(48)– المرجع نفسه ص23

(49)- المرجع نفسه ص 24-25

(50)- المرجع نفسه ص27

(51)- محمد عمارة: الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ط2004/1 ص13

(52)- طيب تيزيني:بيان في النهضة والتنوير العربي باتجاه مشروع نهوض عربي تنويري جديد، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت العدد 3ا لمجلد 29 يناير/مارس 2001 ص56

(53) -- حسن حنفي: نحو تنوير عربي جديد محاولة للتأسيس عالم الفكر المرجع نفسه ص78

(54)-، المرجع نفسه ص78

(55) - المرجع نفسه ص81-82

(56) - المرجع نفسه ص82

(57) - المرجع نفسه ص18

(58) - محمد شامة: لا.. لتطور الخطاب الديني، مكتبة وهبة، القاهرة ط2005/1ص 45

(59)- أحمد عرفات القاضي: تجديد الخطاب الديني، مكتبة مدبولي، القاهرة ط1/ 2008 ص 9

(60) - محمود إسماعيل: الخطاب الديني المعاصر بين التقليد والتجديد ص15

(61) - المرجع نفسه ص 71

(62) - المرجع نفسه ص 74-75

(63)- نصر حامد أبوزيد: نقد الخطاب الديني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط2007/3ص11

(64)- المرجع نفسه ص12

(65) - المرجع نفسه ص13

(66)- المرجع نفسه ص14

(67)- المرجع نفسه ص28

(68) - أحمد زايد: صور من الخطاب الديني المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2007 ص99

(69) – المرجع نفسه ص99

(70) – المرجع نفسه ص100

(71) – المرجع نفسه ص101

(72) – المرجع نفسه ص103

(73)– المرجع نفسه ص105

(74)– المرجع نفسه ص106– 108

(75)– المرجع نفسه ص109

(76)– المرجع نفسه ص 110

(77) – المرجع نفسه ص111

(78)– المرجع نفسه ص112

(79) – حسن حنفي: الخطاب الديني والتدين الشعبي
http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=51718

(80) – المرجع نفسه ص107

(81) – المرجع نفسه ص 108

(82) – المرجع نفسه ص 109

(83) – طوني بينيت– لورانس غروسبيرغ– ميغان موريس: مفاتيح اصطلاحية جديدة، ترجمة سعيد الغانمي ص94

(84)– المرجع نفسه ص95

(85)– المرجع نفسه ص97

(86) – المرجع نفسه ص98

(87) – المرجع نفسه ص 99

قائمة المراجع باللغة العربية:

(1) – أحمد الموصلي: تجارب التنوير وإخفاقاتها في العالم العربي، المثقف والتراث والسلطة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت العدد 3ا لمجلد 29 يناير/مارس 2001

(2) – أحمد زايد: صور من الخطاب الديني المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2007 (3)– أحمد عرفات القاضي: تجديد الخطاب الديني، مكتبة مدبولي، القاهرة ط1/ 2008

(4)– الجليل أبو المجد – عبد العالي حارث: تجديد الخطاب الإسلامي وتحديات الحداثة، أفريقيا الشرق، المغرب، 2011

(5) – حسن حنفي: الخطاب الديني والتدين الشعبي
http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=51718

(6) –– حسن حنفي: نحو تنوير عربي جديد محاولة للتأسيس عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت العدد 3ا لمجلد 29 يناير/مارس 2001

(7)– حسنة عبد السميع: سيميوطيقا اللغة و تحليل الخطاب، الإعلان التلفزيوني، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2005

(8) – دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر الطبعة1/2008

(9) – شحاتة صيام: العنف والخطاب الديني في مصر، سينا للنشر، القاهرة، مصر ط2/1994

(10)– طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس: مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، ط1/2010

(11) – طيب تيزيني:بيان في النهضة والتنوير العربي باتجاه مشروع نهوض عربي تنويري جديد، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت العدد 3ا لمجلد 29 يناير/مارس 2001

(12) – عبد الجليل أبو المجد – عبد العالي حارث: تجديد الخطاب الإسلامي وتحديات الحداثة، أفريقيا الشرق، المغرب، 2011

(13)– عبد الرحمن الحاج: بنية الخطاب الإسلامي الجديد وتحولات ما بعد 11أيلول/سبتمبر، مؤتمر تجديد الخطاب الديني (2004) مركز الدراسات الإسلامية، وزارة الإعلام دمشق، دار التجديد، دمشق

(14) – فادية مصطفى، إبراهيم البيومي غانم: حال تجديد الخطاب الديني في مصر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ط1/2006

(15)– فان ديك: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب2000

(16) – فولفجانج هينه مان ديتر فيهقجر: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط2004/1

(17)– محمد عبد الله مكازي الجريبيع: الخطاب الديني في الفضائيات العربية، دراسة في سوسيولوجيا التأثير على الشباب الأردني، رسالة دكتوراه إشراف حلمي ساري، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية 2009

(18) – محمد عمارة: الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ط2004/1

(19) – محمد شامة: لا.. لتطور الخطاب الديني، مكتبة وهبة، القاهرة ط2005/1

(20) – محمود إسماعيل: الخطاب الديني المعاصر بين التقليد والتجديد

(21)– ميشال فوكو: حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب الطبعة1987/2

(22)– ميشال فوكو: نظام الخطاب ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير بيروت 2007

(23)– نصر حامد أبوزيد: نقد الخطاب الديني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط2007/3

(24) – نعوم تشومسكي: أفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ترجمة حمزة بن قبلان المزينى، المجلس الأعلى للثقافة، مصر 2005

(25) – نورمان فاركلوف: تحليل الخطاب، التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت الطبعة2009/1

المراجع الأجنبية:

Philippe Forest et Gérard Conio : Dictionnaire Fondamental du Français Littéraire, Maxi-liveres 2004

❑❑